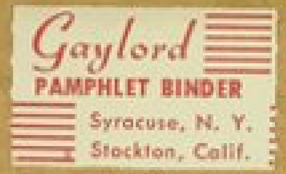
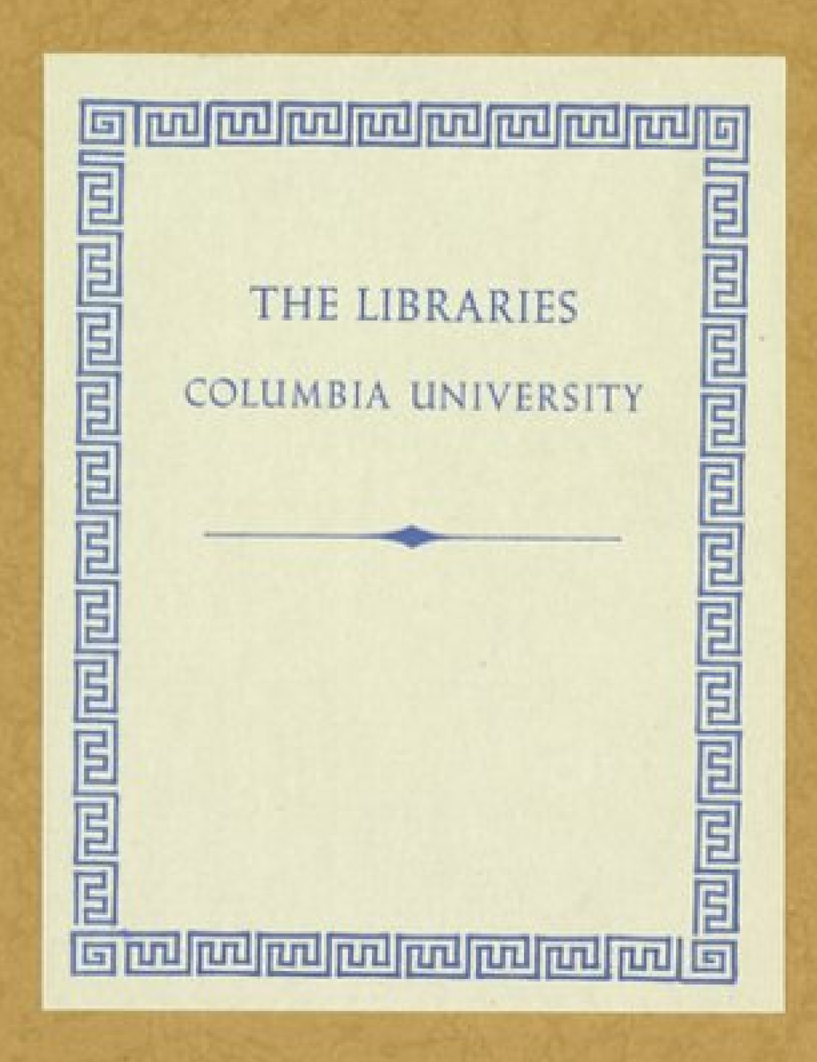
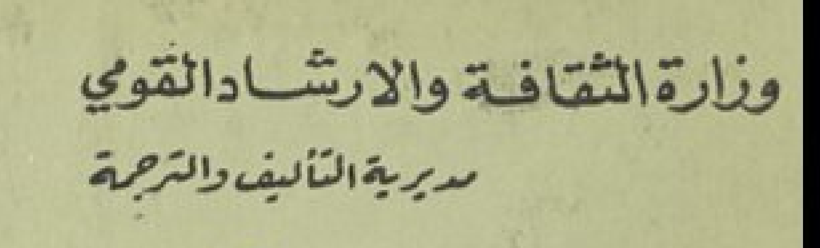

Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



وزارة الثقافة والارشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة

هدية

حياة الفنان عبد الوهاب ابو السعود

عادل أبو شنب

حياة الفنان عبد الوهاب ابو السعود

وزارة الثقافة والارشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة

حياة الفنان

عبد الوهاب ابو السعود

عادل أبو شنب

السلسلة الفنية
٤

الطبعة الاولى ـ ١٩٦٣

كلمة صغيرة

انسان متعدد المواهب ، كالمرحوم عبد الوهاب أبي السعود ، له في ميادين عدة نشاطات جديرة بالتقييم وبالتأريخ ٠٠ انسان كهذا تصعب دراسته والذهاب مع حياته الحافلة ٠٠ في رحلة ٠

ومع ذلك فان الامر مع عبد الوهاب أبي السعود ٠٠ مغر ، لأن نشاطاته تناولت فنين يلقيان ، هذه الايام ، ذيوعا وانتشارا في سورية ، هما فنا الرسم والتمثيل ، فكأننا اذ نتحدث عن حياة هذا الرائد من رواد الرسم والتمثيل السوريين ٠٠ نؤرخ لمرحلة من المراحل التي مر بها هذا الفنان ٠

ان عبد الوهاب أبا السعود يلخص ، بشخصه ، مرحلة فنية ذات أهمية قصوى ٠٠ كانت الفنون خلالها في بلادنا تحاول اثبات وجودها واقناع الرأي العام بأهميتها ، فالتمثيل في تلك الايام مستنكر ، والرسم عبث غير مجد وغير مفهوم ، واذا قدر لهذين الفنين أن يجدا أرضا خصبة هذه الايام ، فالفضل لهؤلاء الرواد الذين مهدوا الأرض واستنبتوها بعد أن كانت ممتنعة غليظة التربة ٠٠ وكانوا الجسور التي أوصلت الفنون الى ما وصلت اليه الآن من اهتمام الرأي العام بها ،

والاقتناع بجدواها ، وتقييمها على أنها الشيء الخالد في تاريخ الامم ، وفي تطور حضاراتها ٠

ووجه الصعوبة في دراسة حياة عبد الوهاب أبي السعود ٠٠ ليست في تعدد ميادين نشاطه فحسب ، وانما في ندرة المراجع المطبوعة والمخطوطة المتعلقة به من جهة ، وبهذين الفنين اللذين شقا طريقهما في سورية بدائع حماسات فردية كبدت أصحابها ، الرواد الاوائل ، خسائر مادية ومعنوية كثيرة من جهة أخرى ٠ والسبب في قلة المراجع أن الفن لم يحظ باهتمام المؤرخين الا في حدود ضيقة ، ولاعتبارات بعيدة كل البعد عن أن تكون اعتبارات قيام حركة منظمة لتأريخ الفن ، خاصة في أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ٠ وهما القرنان اللذان عرفا العرب كامة مستعمرة ، ثم كامة تحاول القيام من نوم طويل ، مهتمة كل الاهتمام بالتحرر السياسي ، وبالاستقلال ٠

ولقد وجدت نفسي ، وأنا في سبيل الكتابة عن حياة هذا الفنان ٠٠ مضطرا الى ملاحقة الحكاية من الأفواه ، ترويها غنية بالتفاصيل والجزئيات التي لا تغني الموضوع بقدر ما تعقده ، غير أن شيئا كثيرا من الحماسة لهذا الرائد الذي سمعت المئات يتحدثون عنه حديث المفاخرين بمعرفته ، الواثقين بأنه كان فنانا كبيرا ٠٠٠ قد ذللت الصعوبة ٠

وكان هذا الكتاب ٠

وما أود الحديث عنه بشكل مباشر ، في هـذه الكلمة الصغيرة التي أردتها أن تكون استهلالا استهل به الكتاب ، هو هذا الازدواج الفني لدى عبد الوهاب أبي السعود ، فهو رسـام ، وهو ممثل • والرسـم والتمثيل فنان متباعدان ، ففي حين يعتمد الرسم على جهد فردي هو جهد الرسام نفسه ، يتطلب التمثيل جهدا جماعيا هو جهد جميع المشتركين في المسرحية أو التمثيلية ، واجتماع هذين الفنين ، بهاتين الخاصيتين ، في انسان ما •• يعني أن لدى هذا الفنان طاقة فنية غير محدودة ، وموهبة قادرة ، وفهما أصيلا لواقع كل فن وشروطه • ولقد كان عبد الوهاب أبو السعود يملك هذه الطاقة الفنية المزدوجة ، بل وكان يستطيع استخدامها لصالح الفنين معا •

وقد يكون من الصعب الآن •• أن يزدوج العمل الفني عند فنان ما ، بسبب امتلاء كل فن بالمدارس والتفاصيل المتعددة التي لم تكن معروفة ، في بلادنا على الأقل ، قبل عشرات السنين ، ولكنه ليس نادر الوجود في تلك الفترة ، وهي فترة اكتشاف الخمائر الفنية ، واقناع الرأي العام المتحفظ بجدوى الفنون لتطوير المجتمع •

على هـذا النحو كان عبـد الوهاب أبو السعود رساما ، وكان ممثلا ومخرجا ومؤلفا مسرحيا ، أنجب في الفنين معا : الرسم والتمثيل انتاجا ، وصار له فيهما مريدون وتلامذة كثر وأنصار وجمهور • وفي الحق يمكن

القول ان هذا الرجل كان رائدا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ٠ » واذا كانت العبقرية الشامية الاولى ـ كما قال الدكتور جميل سلطان في بحث له عن الفنان أبي السعود بعد وفاته ـ في التاليف والتمثيل معا قد تجلت في ابداع أبي خليل القباني رحمه الله ، أواخر القرن الماضي ، واوائل هذا القرن العشرين ، فان احدا من الناس لم يستطع أن يجدد تلك العهود الشوامخ ، ولا أن يعيد الى ذلك الابداع رونقه وجدته مثل ما فعل فقيدنا الكريم عبد الوهاب أبو السعود ، تغمده الله برحمته ٠ »

ولعل هذا الكتاب ، بعد ، يعطي ملامح قريبة الشبه بملامح حياة عبد الوهاب أبي السعود الفنية بشطريها ٠٠ ولعله يكون ، أيضا ، وفاء لهذا الرجل الفنان الذي أعطى فنه وبلاده ، بحق ، كل حياته ٠

عادل أبو شنب



الفنـــان ٠٠ في احد أدواره

الفصل الاول

حياة عبد الوهاب ابو السعود

المحاولات الاولى

« أنا شـــاب . لا تحسبني
هرما ، ولا تتحفظ في مخاطبتي .
خذ حريتك . أنا صبور . أماشي
ابني كأنه صديق لي ... »

أبو السعود

كان القرن الماضي يلفظ أنفاسه الاخيرة عندما ولد عبد الوهاب أبو السعود .

رأت عيناه النور ، لاول مرة ، في مدينة نابلس عام ١٨٩٧ (١) ، وكان أبوه المرحوم عبد الله شـــوقي

(١) في رواية أخرى ، مثبتة في أرشيف الفنانين بمديرية الفنون انه ولد في ضاحية « القدم » بدمشق . ونرجح الرواية الاولى لاجتماع عدد من المصادر على ترجيحها والجزم بصحتها .

أبو السعود ، الضابط في الجيش العثماني ، ينحدر من أسرة أبي السعود الشهيرة والممتدة الى منتصف القرن السادس عشر ، فقد عين الخليفة العثماني وقتئذ فخر الدين أبا السعود واليا على القدس ٠٠ فكانت منه ذرية انتشرت في عدد من الاصقاع العربية مع مرور الايام ، وبقي من بقي من أسرة أبي السعود في فلسطين ، وكانت لهؤلاء الامامة على المذهب الشافعي في القدس حتى اليوم٠ وبسبب من خلاف الضابط مع أسرته هجر فلسطين في مطلع القرن العشرين واستوطن صيدا في جنوب لبنان ، وكان عبد الوهاب رضيعا ما يزال ، وهكذا نشأ الطفل في هذه البلدة الساحلية الطيبة المناخ ، المشبعة بأريج زهر البرتقال ، والتي يحتضنها البحر الازرق الجميل ٠٠ كأنه أم حدوب ٠

كان عبد الوهاب أبو السعود ، منذ الصغر ، ذا حيوية دافقة وميل شديد الى الحركة ، ورغبة حارة في اكتشاف كنه الاشياء التي يراها والتي يلمسها ، ولقد تهيأ له بسبب من وجود البحر من جهة ووجود السهل من جهة أخرى أن تملأ الطبيعة طفولته وأن تعيش في عينيه الالوان والفروق وما بينها ٠٠ مما كان خميرة جيدة لعمله الفني كرسام في المستقبل ٠

وعلى الرغم من ميله الى الجلسات الطويلة ٠٠ يحدق أثناءها الى البحر والى الجبل ٠٠ فانه لم يفوت فرصة مناسبة لاثبات شجاعته وجرأته امام لداته الا واغتنمها ٠٠ ويعود تاريخ الندبة التي تحتل جزءا من جبهته الى تلك الايام البعيدة التي كان يمضي خلالها

ساعات لهوه وعبثه في أعماق الماء سباحة ، أو على ظهور المهر .. ركوب خيل .



عبد الوهاب في صيدا مع أبيه واخوته

وكان عبد الوهاب يتعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب ·· ويحفظ آيات القرآن الكريم ·· على يد شيخ من هؤلاء الشيوخ الذين تعرف محالهم ب « الكتاتيب » ، وكان على درجة مرتفعة من النجابة والاقبال على الدرس والحفظ ، حتى ليمكن القول ان تمسكه في المستقبل بالموضوعات الاسلامية ، رسما وتمثيلا ، نابع من هذا المنطلق : بيئته الاسلامية التي عاشها في بيته ، وتتلمذه الاولي على يد شيخ في « الكتاب » ·

وعلى الرغم من عدم معرفة التاريخ المضبوط لتعلقه بفن التمثيل ·· من الممكن القول أنه رأىذات مساء ــ ولم يكن قد بلغ العاشرة بعد ــ الى فريق من الناس يؤدي عملا مسرحيا بدائيا في أحد أركان مقهى من المقاهي الساحلية في صيدا ، فاستهواه ، وراح يقلد في الدار ما رأى من حركات الممثلين ومن أقوالهم[١] ، الامر الذي أغضب أباه ، على ما يبدو ، وجره الى تأنيبه في البدء ، ثم الى التفكير في ارساله الى أبعد من صيدا في طلب العلم ·

وكان الرحيل ·· من بعض احلام هذا الطفل الذي زرع الحيرة في صدور ذويه لما كان يعتريه من حالات الاقبال على الاشيا. والاشخاص ، والاعراض عنهم

---

(١) تعتز مدينة صيدا بأنها مسقط راس مارون النقاش أول من نقل فن التمثيل الى العربية · وقد يكون عبد الوهاب أبو السعود وقف ، وقتئذ ، على قصة حياة هذا الرائد ··

بسرعة مذهلة ـ وهذه مميزة لازمته طوال حياته ـ ولعل التفكير بارساله الى خارج صيدا ليستزيد من طلب المعلومات الدينية قد صادف هوى في تلك اللحظة ٠٠ في نفسه ٠٠ فتحمس للفكرة ، واقبل عليها ، وراح يلح على والده بتنفيذها ٠٠ وكان يتعمد ، كل عشية ، الجلوس الى النافذة ، يرى الى المراكب الصغيرة ذات الاشرعة البيضاء وهي تتبختر على صفحة الماء ، حتى اذا ما رآه والده على هذه الحال وسأله عما يفعل ، قال :

ـ أريد أن أذهب الى هناك ٠

مشيرا باصبعه الى الافق ٠

وما عن كره بصيدا كان يقول ذلك ، فلقد أحب هذه المدينة الساحلية الصغيرة حبا جما دائما ، ولكنه كان يحس أن في نفسه ، على صغره ، حافزا للرحيل ورؤية مدن أخرى أكبر وأجمل ٠٠ سمع عنها الكبار يتحدثون ٠

ووافق والده أخيرا على ارساله ٠٠ بعد أن آنس لديه هذه الرغبة الملحة ٠

واختيرت بيروت مكانا لمقام عبد الوهاب الذي أصبح يافعا ٠٠ اثناء دراسته ، وسافر اليها بمركب شراعي كما حلم وأحب أبدا ، وفي مدرستها الشهيرة وقتئذ باسم « سلطاني بيروت » قضى زمنا يتوسع في ما كان قد درسه في صيدا من مبادىء القراءة والكتابة والحساب وحفظ آيات القرآن الكريم وشرحها ، وكم

كان سرور أبيه بالغا عندما حملت ادارة المدرسة عبد الوهاب شهادة تثبت تفوقه ونجابته •

الى هذه الفترة الزمنية التي تزيد عن سنة والتي أمضاها عبد الوهاب تلميذا نجيبا في اعدادية « سلطاني بيروت » ينسب اهتمامه العملي بفن الرسم ، وأغلب الظن أنه شاهد هناك لوحات عديدة استوقفته مرارا ، ثم حاول النسج على غرارها مستعينا بارشادات بعض رفاقه ممن كان يدرس في مدارس الارساليات التي كانت تعلم طلابها فيما تعلمه فن الرسم[1] •

وأبدى عبد الوهاب أبو السعود رغبته في السفر من جديد طلبا للعلم واقترح القاهرة على أبيه •• ولم يعطه الاب جوابا شافيا غير أن الابن الذكي أقنع أباه بأن دراسته الدينية لن يكون لها شـــأن كبير اذا لم تكللها دراسة دينية جامعيـــة ، وفي الازهـــر الذائع الصيت نفسه •

القاهرة بعد بيروت •• لكأن فناننا الطفل أحس بأن ما لم يره في بيروت سيراه حتما في القاهرة •

سافر عبد الوهاب أبو السعود الى مصر بطريق الساحل عبر فلسطين ، وكان مهتما بهذه الرحلة اهتماما بالغا ، فكأن ما سمعه عن نشـــاط الفن التمثيلي في

---

(١) كانت بيروت تعنى ، وقتئذ ، بالتمثيل بعض العناية ، متأثرة بالخطوات التي خطاها في هذا الفن مارون النقاش وسعد الله البستاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر •

القاهرة التي كانت أسبق المدن العربية في احتضان هذا الفن ٠٠ كان حافزا قويا ، ولعله أقوى من حافز الدراسة للقيام بهذه الرحلة التي يعلق الاب عليها أملا مختلفا كل الاختلاف عن أمل الابن فيها ٠

وشهدت أروقة جامع الازهر ـ والازهر محج الطلبة المسلمين من كل مكان ـ طالبا أسمر اللون ، ذا قامة أميل الى القصر منها الى الطول ، يروح ويجيء ، وفي يديه كتب دينية ، الى حلقات الدرس التي يديرها شيوخ الازهر واساتذته الذائعو الصيت والملمون الماما كبيرا بعلوم الدين وبفقه اللغة ٠ وقد أفادته هذه الدراسة فائدة كبرى ، حتى أنه برز في اللغة العربية وصار من المجيدين فيها كتابة وقراءة وخطابة ، غير أن هـذا الطالب الازهري القادم من بلاده الى مصر ليستزيد من طلب الدراسة الدينية قد استهواه وأخذ بمجامع قلبه ما رآه يمثل على مسارح القاهرة من مسرحيات ، بعضها مترجم وبعضها موضوع ، بعضها فصيح وبعضها باللغة المصرية الدارجة ، يقوم بأدائها ممثلون محترفون تلقوا أصول الفن في أوروبا ، وهواة مندفعون في حبهم للتمثيل ، فراح يتردد على دور التمثيل كل عشية ، ولم يمض على وجوده في عاصمة مصر أكثر من ستة أشهر حتى أصبح المسرح يحتل الجزء الاكبر من اهتمامه ٠٠ ومن حياته ٠

وعادت به الذكرى الى تلك العشية في صيدا التي رأى فيها فرقة تمثيلية جوالة ، لعلها فرقة مصرية ، وهي

تؤدي احد الفصول الفكاهية ، واستيقظت في صدره تلك الرغبة المكبوتة .

كان عبد الوهاب أبو السعود في فترة مقامه الاولى في مصر متفرجا متحمسا للمسرح ، ثم أصبح ممثلا متحمسا لنفسه أكثر من حماسته لاي انسان آخر ، ولقد كان انضمامه الى بعض الفرق المسرحية في القاهرة سهلا لاستعداده التمثيلي من جهة ، ولحاجة هذه الفرق الى عناصر موهوبة من جهة أخرى ، ومن الواضح أن عبد الوهاب كان يرمي بانضمامه عمليا الى فرق التمثيل في القاهرة والتفرغ لها .. الى الالمام بهذا الفن الذي لاتعرفه بلاد الشام ، في ذلك الحين ، جيدا . كما سنبين ذلك في فصل قادم .

« انقطع عبد الوهاب أبو السعود عن دراسته الدينية وانصرف بكليته للفن[1] » وقد استمر ذلك حوالي سنة كاملة ، وحين استدعاه والده .. كان قد أمضى سنة ونصف السنة في مصر ، ولولا خشيته من غضاب والده الذي كان عبد الوهاب يكن له احتراما شديدا ، والذي ورثه اعتدادا شديدا بالنفس ، لولا ذلك لتردد في العودة ، ولمضى في الطريق الفني .. في مصر نفسها .

ولم تكن صيدا بالمدينة الكبيرة التي تصلح ليبدأ فيها عملا فنيا ما ، ولم تكن سن عبد الوهاب تسمح له بتبني عمل متحرر في بيئة محافظة ، ولم يكن والده

---

(١) جاء هذا القول في رسالة جامعية للاستاذ أسعد جباصيني

المتمسك بأهداب الدين ليرضى عن قيام ابنه بعمل فني ما ـ وقد سبق له ان استدعاه من القاهرة لسماعه انباء انضمامه الى الفرق المسرحية ـ ولهذين السببين كبت اندفاعه الفني وأرجأ مشروعاته المسرحية الى فرصة سانحة قادمة ٠

عاد عبد الوهاب الى صيدا ، وأقام فيها بعض الوقت ، ومن الثابت اشتغاله ، لمدة قصيرة في التعليم ٠٠ في احدى مدارس قرية « حاصبيا » التي تبعد عن صيدا ستين كيلو مترا ، وكان مراهقا لا أكثر [1] ٠

بلغ عبد الوهاب أبو السعود السابعة عشرة من العمر ٠٠ عندما اشترك مع اسرته ، والده ووالدته واخوته ، في الانتقال من صيدا الى دمشق ، ولقد كان فرح عبد الوهاب بالقدوم الى هذه المدينة التي حلم أكثر من مرة بالمجيء اليها ٠٠ لا يوصف ٠ فدمشق هي المدينة الاولى التي قدم فيها ابو خليل القباني أعماله التمثيلية ـ الغنائية التي لمس آثارها ونتائجها أثناء مكوثه في مصر[2] ، ودمشق هي التي تصلح لتكون ميدانا لفنه ومشروعاته واحلامه ٠

---

(١) يروي الامير أحمد الشهابي أن عبد الوهاب أبا السعود قد قدم في مدرسة حاصبيا التي عمل فيها مدرسا ، مسرحية مدرسية ، استعان على تمثيلها بالتلاميذ ٠

(٢) يقول الدكتور محمد مندور في كتابه « المسرح » : « هذا ولعل القباني هو صاحب الفضل في تثبيت أقدام هذا الفن في مصر ، =

ويبدو ان رحيل الاسرة عن صيدا ٠٠ كان رحيلا الزاميا بسبب من بدء استعداد الامبراطورية العثمانية للدخول في الحرب ، ودعوة والد عبد الوهاب الضابط في الجيش العثماني الى المجيء الى دمشق ٠

وفي دمشق لم يقدر لعبد الوهاب أبي السعود بادىء ذي بدء ان يجد منطلقا لعمله الفني ، خاصة وان الاستعداد للحرب قد وضحت معالمه باستنفار المـــال والرجال في جميع انحاء الاصقاع التي تسيطر عليهـــا الحكومة العثمانية ، كما أن الحكومة العثمانية نفسهـــا كانت تستقبح الاعمال الفنية ، ولها سابقة في اضطهاد الفنانين (١) ، لذلك امضى فترة من الزمن في بطالة ٠٠ يجوب الشوارع والاحياء ويعمق صلاته مع الناس ، ويتخذ منهم اصدقاء ، وما كان أسرعه في عقد الصداقات لمرحه ونكتته وطيبته ٠

= وربما كان ذلك لان فنه لقي هوى وقبولا في نفوس المصريين ، وذلك لانه لم يكن فنا تمثيليا خالصا ٠ بل كان يجمع بين التمثيل والموسيقى والغناء ٠ وكان القباني يجيد فني الموسيقى والغناء والتلحين والراجح أيضا انه هو الذي بذر بذرة المسرح الغنائي في مصر ومهد الطريق للشيخ سلامة حجازي وسيد درويش وغيرهما ممن اشتغلوا بالمسرح الغنائي في مصر ٠ »

(١) يروى أن أبا خليل القباني هرب الى مصر بحيلة بعد ان حاول الخليفة العثماني البطش به ٠٠ عندما استدعاه الى استانبول ليرى الى ما كان يقدمه للجمهور في دمشق وفي سواها ٠

وجاء صباح حمل فيه الى عبد الوهاب أبي السعود دعوة بالالتحاق بالجيش العثماني الذي كان قد خاض الحرب في عدة جبهات (١) ، وكان في أمس الحاجة الى المزيد من الرجال والمال ، وكانت هذه الدعوة أسوأ ما مر بعبد الوهاب من أحداث • وما عن جبن كان يكره الانضمام الى الجيش العثماني ، ولكنه كان يكره الاتراك كراهية أعلن عنها أكثر من مرة ، وكانت تلبية الدعوة ، من جهة أخرى ، قضاء مبرما على مشروعاته الفنية رسما وتمثيلا ، خاصة وانه بدأ في تلك الآونة يسعى الى تاسيس ناد تمثيلي ، كما كان يجرب حظه في عالم الالوان •

انضم عبد الوهاب الى الجيش العثماني •• على كراهية • وأمرت فرقته بالسفر سريعا الى اوروبا لامداد القوات العثمانية ـ الالمانية التي عرف انها اصيبت بهزمات متلاحقة ، « ويتجه عبد الوهاب أبو السعود مع بقية رفاقه من الجنود الى محطة البرامكة ليستقلوا القطار الى حلب • ويقف في نافذة القطار يلوح بيده لمودعيه ، وفيهم أمه ، فيراها وقد سالت دموعها وانهارت قوتها وعلا نحيبها ، ويسير القطار مخلفا وراءه سحابة من الحزن ، وما ان تغادر آخر عرباته المحطة •• حتى يظهر عبد الوهاب من الجانب الثاني ، وقد ترك سلاحه وعتاده ، وغادر القطار من

---

(١) الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤

الباب الثاني مع علمه أن عقوبة الاعدام تنتظره جزاء فراره من الخدمة العسكرية (١) • »

على هذا النحو كان رد فعل عبد الوهاب أبي السعود تجاه تجنيده في جيش لا يحبه ، تابع لأمة يعلن دائما أنها تضطهد العرب وتكتم انفاسهم وتمنع عنهم نسمة الحرية ونسمة التطور • ونظرة متفحصة الى هذا العمل الذي قام به : الهرب من القطار بالكيفية التي ذكرناها •• تري ان عبد الوهاب قد فعل ذلك تأخذه روعة المفاجأة التي ستصيب مودعيه ، فكأنه كان وقتئذ يقوم بأداء أحد الادوار التمثيلية ، وكأن الموقف في المسرحية قد تناهى الى العقدة الرئيسية المذهلة !

وكان على عبد الوهاب أبي السعود بعد ذلك ألا يظهر في المحال العامة • كان عليـــه ان يختبىء والا فالحكم بالاعدام رميا بالرصاص •• ينتظره • وبالفعل توارى عن الانظار مدة من الزمن ، وربما يرجع اهتمامه بالقضية العربية الى هذه الحقبة الصغيرة من حياتــه التي كانت منطلقا ، على ما يبدو ، لاشتراكه في عمل سري ضد الاتراك ، يظل مجهولا بالنسبة لنا ، وان كان قد تحدث عنه فيما بعد حديثا كثيرا •

ولم يكن ممكنا في هذه الفترة القلقة من حياته أن يمارس أيا من هوايتيه : الرسم والتمثيل اللتين لم ينقطع عن التفكير فيهما على الاطلاق •

وتشاء الظروف ـ وهي الظـــروف التي حدثت

---

(١) من رسالة الجباصيني

مستقبله وحياته فيما بعد ـ أن يلجأ الى التعليم لينقذ رأسه من الاعدام ، ومن معاملته كفار من الجندية [١] ، وكانت مدرسة الملك الظاهر [٢] مسرحا لاول نشاط عملي له في دمشق • وبقدر ما كان التعليم منقذا من الاعدام •• كان منفذا الى الهواية القديمة التي مضت أعوام منذ عودته من مصر دون ان يواجه بها الجمهور ، ففي المدرسة يمكن الاعتمـــاد على مجموعات الطلاب واشراكهم في التمثيل ، كما يمكن اقامة مسرح تمثـل عليه المسرحيات ، وهو ما لا يتوفر وقتئذ بسهولة وفي الاحوال العادية • ومن المدرسة •• يبدأ انطلاقه في تثبيت دعائم هذا الفن الذي يحتاج اليه المجتمع •

في مدرسة « الملك الظاهر » بدأ جهاده الفني •• ومنذ ذلك الحين وحتى وفاته ـ أي ما يزيد على خمس وثلاثين سنة ـ كان عبد الوهاب أبو السعود في رحلة شاقة لتثبيت أقدام فنين هامين هما : الرسم والتمثيل•

وعلى الرغم من أن آثاره التمثيلية ، في بداية عمله في المدرسة المذكورة ، غير واضحة المعالم ، ولا تتعدى محاولة زرع النبتة بتكوين مجموعة موهوبة من الطلبة الممثلين ، فان عمله الفني كرسام قد بدأ يتضح وقتئذ ، على الاقل لانه كان يعلم الطلبة ، بالاضافة الى مـــادة

---

(١) كان ثمة قانون يعفي المعلمين من الانخراط في الجنـــدية العثمانية ، وربما بسبب ندرتهم ، وحاجة البلاد اليهم •

(٢) ما تزال هذه المدرسة تحمل الاسم نفسه حتى الآن في « باب البريد » بدمشق •

اللغة العربية ومادة التـــاريخ ، شيئـــا من مبادىء الرسم ٠٠ دون أن يكون في منهاج التعليم ما ينص على الزامية تعليم هذه المادة ٠ والى هذه الحقبة تنتسب بعض لوحاته الاكثر قدما التي ضاع معظمها بسبب من بيعها أو اهدائها ٠

حتى أواخر الحرب العالمية الاولى ٠٠ كان عبد الوهاب أبو السعود فنانا مجهولا من جهة ، وفنانا يبحث عن أسلوب للعمل وللظهور من جهة اخرى ٠ وفي هذه الحقبة الزمنية التي لم يتجاوز فيها فناننا العشرين من عمره ٠٠ لا نستطيع أن نجد له أثرا مسرحيا باقيا وذا ذيوع وانتشار ، ومن الممكن القول ان العشرين سنة الاولى من حياته ٠٠ كانت فترة أخذ وتمثل للفن بشطريه : الرسم والتمثيل ٠

أما فترة العطاء فقد جاءت بدخول عبد الوهاب أبي السعود سن العشرين ، وبدخول البلاد في حـــكم وطني خالص ٠

الانطلاق والعمل

« لماذا لا نعتني نحن بالفن ؟
اليست عظمة باريس انهـــا
مرسم ومتحف ومسرح ؟ واذا جردتها
منها ٠٠ فماذا يبقى من عظمتها ؟ »

ابو السعود

يصح القول ان عبد الوهاب أبا السعود كان معلما بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، فكأنه عندمـــا عمل في مدرسة « الملك الظاهر » معلما ٠٠ قد اكتشف اسلوب العمل الذي كان يفتش عنه ، منذ وطئت قدماه أرض دمشق ٠

لقد آمن منذ البداية ان المدرسة هي منطلقة في العمل الفني بشطريه : الرسم والتمثيل ، وانه لا يمكن

له ان يزرع نبتة فنية مثمرة اذا لم تكن المدرسة أرضها ، ولهذا حرص على أن يغذي هذه النبتة ، في الاطار المدرسي ٠٠ تغذية واعية ، وان يستعين بالموهوبين من تلامذته في بعث فن التمثيل الذي انطفأ في بلاد الشام منذ وفاة أبي خليل القباني ٠ وقد عمل ، وقتئذ ، على اختيار عدد من تلاميذه لتدريبهم على الالقاء والتمثيل واعداد المسرح ٠٠ استعدادا للظهور في باكورة انتاجه المسرحي ، وانتقل الى الخطوة العملية بتأسيسه « نادي الاتحاد الترقي » الذي كان يعمل للقضية العربية تحت ستار الفن ٠

وقد أدى اضطراب الاحوال في البلاد بقيام الحرب ثم بانكسار الاتراك وجلائهم عن الشام في أواخر عام ١٩١٨ الى احجام عبد الوهاب ابي السعود عن الظهور على المسرح ، واستمر في عمله كمعلم في مدرسة « الملك الظاهر » وكمشرف على فرع التمثيل في النادي المذكور ، وكان يرقب الاحداث باهتمام بالغ ٠

وبقدوم الامير فيصل بن الشريف حسين الى الشام على رأس جيش الثورة العربية الكبرى ٠٠ أحس عبد الوهاب أبو السعود أن منطلقه الفني يجب أن يبدأ مع منطلق الشام في الميدان العربي بعد تحررها من نير الحكم التركي ٠٠ فراح يعد العدة للظهور على المسرح في عمل كبير ٠

وكان معروفا ، وقتئذ ، في الاوساط الادبية انه ما من أحد يجيد كتابة المسرحية ويتفنن في الحوار

كمعروف الارناؤوط [١] فلجأ اليه عبد الوهاب أبو السعود وطلب ان يكتب على جناح السرعة عملا مسرحيا يناسب الاحداث ، فكتب الارناؤوط مسرحية « جمال باشا السفاح » التي تدور حول ظلم القائد التركي « جمال باشا » [٢] وقدمها لابي السعود الذي هيأها ، بسرعة مماثلة ، للمسرح .

لقد رأى بثاقب نظره ، أن دمج الفن بالقومية في عمل واحد من شأنه ان يفتح صدر المجتمع لاعمال فنية قادمة ، ورأى أن ذلك يخدم القضية القومية قبل اي شيء آخر ، وقد شجعه هذان العاملان على افتتاح عمله المسرحي بهذه المسرحية .

اقيمت الحفلة في احدى صالات دمشق المعروفة بضخامتها وقتئذ[٣] ، باسم النادي العربي[٤] ، وحضرها الامير فيصل وضباط الجيش العربي واعيان

---

(١) معروف الارناؤوط .. من أشهر أدباء الشام ، عني بالادب وبالصحافة معا . وله مؤلفات وروايات . وكان صاحب جريدة « فتى العرب » .

(٢) « جمال باشا » أحد القواد الاتراك ، معروف بظلمه الشديد . وهو صاحب المشانق التي علق عليها الاحرار العرب في السادس من أيار عام ١٩١٦ .

(٣) صالة « زهرة دمشق » في المرجة ، وقد أقيم مكانها حاليا بناء شامخ هو بناء « قباني وشربجي » .

(٤) الاسم الجديد لنادي « الاتحاد والترقي » وقد انتخب عبد الوهاب أبو السعود رئيسا له في هذه الفترة .

دمشق ورجالاتها ، ولم تكن مقتصرة على المسرحية وحدها ، وإنما كان مهرجانا تكريميا للامير ، القيت فيه القصائد والخطب ٠

وقد نجح ابو السعود في أدائه لدوره نجاحا باهرا كان سببا في ذيوع اسمه في عالم التمثيل فيما بعد ٠

ومنذ نجاحه هذا ٠٠ أيقنت دمشق انه نجمها المنشود ، وأيقن هو نفسه ان على حماسته للمسرح وللعمل الفني يتوقف مستقبل المسرح في الشام ، وكما كان أبو خليل القباني نجمها الساطع فسيكون هذا الآخر نجمها الوضاء ٠

وبحماسة غير عادية تابع ما بدأه ونجح فيه ٠

وخلال فترة الحكم الوطني القصيرة ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ شهدت دمشق عددا من المسرحيات التي قدمها عبد الوهاب مستعينا ببعض اصدقائه وتلامذته ، وكان الاقبال عليها كبيرا ومشجعا ، غير أن دخول القوات الفرنسية سورية عنوة ، وبعد مقاومة وطنية في ميسلون وسواها قد حول عبد الوهاب من فنان ماض في رسالته الفنية الى مقاوم منخرط في الحركة الوطنية ، ثم الى رجل متوار عن الانظار بسبب ملاحقة السلطات الفرنسية له ، ينتقل من قرية الى قرية ، يرتدي ملابس الفلاحين والرعاة ، ويعيش عيشا مضطربا قلقا ، وقد ولدت بكره ، وهو بعيد في احدى قرى حوران ، لا يعرف أحد أين هو بالضبط [1] ٠

---

(١) يرجع تاريخ زواجه الى أواخر العهد الفيصلي عام ١٩٢٠ وزوجته من عائلة رمو ٠

وقـــدر للنار ان تختبىء تحت الرمـــاد بعض الوقت ·· فسكنت الاحوال في سورية ·· استعدادا لثورة كبرى قادمة تعيد جيش الاحتلال الفرنسي من حيث أتى ، وبهدوء الاحوال عاد عبد الوهاب أبو السعود عن تواريه ، وانخرط مجددا في سلك التعليم يفيـــد بلده عن هذا الطريق ·

وخلال هذه المرحلة سكت عبد الوهاب عن العمل المسرحي بعض الشيء ، والتفت الى الرسم فراح يعمل فرشاته في الالوان يحيلها لوحات ، ولم يكن فن الرسم في سورية وقتئذ قد عرف روادا كثيرين (١) ، لذا كانت الحاجة ماسة الى رسامين محليين · وقد استعين به في رسم لوحات قلد بها لوحات القاشاني المفقودة من قصر العظم ، وضعت مكان اللوحات التي أكد كثيرون فيما بعد أن الفرنسيين قد حملوها خلسة الى متاحفهم في باريس ·

وهجر عبد الوهاب أبو السعود التعليم ·· وامضى فترة تفرغ خلالها للرسم كل التفرغ ، وقد عمل في

---

(١) كان من الرواد الاوائل الذين سبقوا عبد الوهاب أبا السعود في فن الرسم ·· الفنان المرحوم توفيق طارق الذي ولد في دمشق عـــام ١٨٧٥ ، وكان سيد المدرســة الكلاسيكية السوريــة في الرسم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، ومعروفا على نطاق واسع في اوروبا وخاصة في باريس التي درس فيها فن الرسم ·

الصحافة فكان يرسم الصور الكاريكاتورية للمجلات [1]، وللصحف ويعلق عليها ، والى هذه الحقبة من الزمن تنتمي طائفة من لوحاته المباعة او المهداة ، والمرسلة الى كل من انكلترا وامريكا وفرنسا ، والمعلقة حتى الان على جدران منازل أصحابه ٠

ولحاجته الى المال ٠٠ عمل بعض الوقت موظفا في مديرية البريد ، غير انه عاد الى التعليم مدرسا فعليا لمادة الرسم التي وجدت طريقا الى منهاج التعليم الذي مشت على هديه المعارف وقتئذ ٠ وشهدت مدرسة « مكتب عنبر » [2] الثانوية استاذ مادة الرسم الجديد يلقن مبادىء هذا الفن التلاميذ الذين أصبحوا فيما بعد ساسة ورجالات وفناني سورية المرموقين ، ولم تكن مهمته سهلة ٠٠ فالمادة جديدة ، والتلاميذ لا يقبلون عليها اقبالا جديا ، وبكلمة أكثر صراحة ، يستهينون بها ٠٠ ولقد بذل جهدا كبيرا ، كعادته ، في تقديم خبرته ٠٠ حتى زرع في بعض التلاميذ اهتماما بفن الرسم ٠٠ تحول في المستقبل الى هواية ، وانجب رسامين ذاعت شهرتهم فيما بعد وحتى الان ، وما زالوا يكنون لعبد الوهاب أبي السعود احتراما كبيرا لانه كان أول من عني بمواهبهم المكبوتة ونماها ٠

وقامت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ وهب

---

(١) من هذه المجلات ٠ مجلة « حط بالخرج » السياسية الهزلية٠

(٢) المدرسة الثانوية الوحيدة في دمشق وقتئذ ، ويقال ان اول استاذ للرسم فيها كان الفنان المرحوم توفيق طارق ٠

الشعب يسهم فيها ، كل على قدر طاقته ، وقد اسهم عبد الوهاب ابو السعود فيها ببث الروح الثورية في تلامذته وابناء حيه ، وساعد في جمع المال للثوار ٠٠ ولم ينقطع طوال السنوات الثلاث التي استغرقتها الثورة عن المساعدة ، كما لم ينقطع عن الانتاج في الفنين : الرسم والتمثيل ٠

ففي ما يخص التمثيل قدم عددا من المسرحيات الهامة والصعبة الاداء والاخراج كمسرحيات شكسبير ، كان جمهورها جمهور نخبة ، متحمسا لعبد الوهاب حماسة شديدة ، كما اقدم على تأسيس عدة نواد وفرق مسرحية منها « نادي الكشاف الرياضي » الذي ظهر عام ١٩٢٨ وافرد قسما خاصا بالتمثيل ، وجعل رئاسة هذا القسم للفنان عبد الوهاب ابي السعود ـ وقد اغلقت السلطات الفرنسية هذا النادي بعد سنوات لاتجاهاته الوطنية ـ و « نادي التمثيل والالحان » الذي لم يبق طويلا ، واشترك في فرق ونواد فنية أخرى ، ورعى الحركة التمثيلية في « مكتب عنبر » على هزالها وشجعها ، ويمكن القول ان عبد الوهاب أبا السعود استطاع بالمسرحيات التي قدمها منذ قيام الثورة السورية وحتى سفره الى باريس عام ١٩٣٣ ، استطاع ان يعطي فكرة حسنة عن فن التمثيل ، وان يبدل من نظرة المجتمع الى هذا الفن ، وان يوجد فكرة انشاء مسارح في المدارس ٠٠ وهذا كسب كبير للمسرح في سورية ٠٠ كانت له آثاره الواضحة في قيام فرق ونواد ٠٠ تتبنى العمل المسرحي وتقدم عددا من



المسرحيات المترجمة والموضوعة ٠٠ منقـادة الى ذلك بتشجيعه او لمنافسته [١] ٠

وفيما يخص فن الرسم ٠٠ كان انتاجه واسعا وخصبا بعد أن ذاع اسمه واشتهر ، خاصة في رسم القاشاني والزخارف العربية « الفاطمية والعباسية » وفي تصوير الموضوعات الشعبية ٠ وقد اتصل بـه الكونت دولوريـــه الفرنسي[٢] وراح يشتري منـــه لوحاته الزخرفية ، ويرسلها الى باريس ٠ ولوحاتـه الزخرفية هـذه هي فنه الذي يقرن باسمه ، فبفضله انتعشت هذه الزخارف الموجودة في كل مكان ، وقد اشترك ، بعد هذه الفترة ، في عدد من المعارض التي أقيمت في دمشق ، منها معرض كبير افتتح في الجامعة السورية ، وضم في جناح خاص انتاجات لفنانين من سورية ولبنان ، وكانت لجنـــة التحكيم مؤلفة من فرنسيين ولبنـانيين منهم ميشليه ـ وهو فرنسي ـ ومصطفى فروخ وحبيب سرور ـ وهما لبنانيان ـ كما ساهم في معرض اقيم في « اللاييك » وضم اعمالا لجميع الفنانين السوريين المعروفين وقتئذ ٠

---

(١) اسس الفنان المرحوم توفيق العطري في تلك الفترة فرقة مسرحية ، وكان العطري قد اشترك مع ابي السعود في مسرحيـــة « جمال باشا السفاح » بدور رئيسي ٠٠ نجح فيه كل النجاح ٠

(٢) الكونت دولوريه فرنسي جـــاء مع الحملة الفرنسية الى سورية ، وعين مديرا لقصر العظم ٠ وقد كان مسؤولا عن معهـد فني للفنون الاسلامية ٠

ETAT DE SYRIE

MINISTÈRE DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE

CABINET

N°

دولة سورية

وزارة المعارف

الديوان

١٧٢ / ١٥٨٥

لحضرة السيد عبد الوهاب أبي السعود المحترم

قرر مجلس الوزراء العالي الموافقة على انشاء معرض تحت رعاية فخامة الرئيس الجليل خلال شهري تموز وآب ١٩٢١ في قاعة المجمع العلمي تعرض فيه صنائع المصورين والرسامين المشهـ[ورين] في سورية ولبنان من تصوير يدوي زيتي ومائي وحفر وتماثيل مختلفة من صنع وطنيين وغيره ما يلحق عرضه من هذا القبيل والنظر في منح الحائزين قصب السبق جوائز وهدايا مناسبة باسم الحكومة . هذا وقد الفنا لجنة لهذا المعرض برئاسة الامير جعفر الحسني مدير دار الآثار ورأينا ان تكونوا حضرتكم من جملة اعضائها . فنرجو الاجتماع الى المدير المومأ اليه في المجمع العلمي والقيام معه باجراء ما يقتضيه هذا الشأن ودمتم محترمين ،

دمشق في ١٢ تموز سنة ١٩٢١

وزير المعارف

[illegible]

كتاب وزير المعارف بتكليف أبي السعود بعضوية اللجنة

كانت هذ الفترة ٠٠ فترة منطلقه في فن الرسم ، وقد عرف عنه قوله وقتئذ انه الرسام الاول الـــذي لا يجارى ، ويكفي للتدليل على علو شأنه في هذا الفن وقتئذ ٠٠ تكليفه بعضوية لجنة رسمية اشرفت على اقامة معرض للتصوير كما هو مبين في الكتاب الموجه اليه في السادس عشر من تموز عام ١٩٣١ من قبل المرحوم الاستاذ محمد كرد علي وزير المعارف في « دولة سورية » وقتئذ ٠

وهذا هو نص الكتاب (١) :

حضرة الاستاذ السيد عبد الوهاب
ابو السعود المحترم

قـــرر مجلس الوزراء العـــالي الموافقة على انشاء معرض تحت رعاية فخامة الرئيس الجليل ، خلال شهري تموز وآب في قاعة المجمع العلمي، تعرض فيـــه صنائع المصـــورين والرسامين المشهورين في ســـورية ولبنان ، من تصوير يدوي وزيتي ومائي وفحمي وتماثيل مختلفة من جص وطين وغيره ، مما يليق عرضه من هذا القبيل ، والنظر في منح الحـــائزين قصب السبق جوائـــز

---

(١) من اضبارة الفنان المرحوم عبد الوهاب أبي السعود في وزارة التربية والتعليم ٠

وهدايا مناسبة باسم الحكومة . هذا وقد الفنا لجنة لهذا الغرض برئاسة الامير جعفر الحسني مدير الآثار .. راينا ان تكونوا حضرتكم من جملة اعضائها ، فنرجو الاجتماع الى المدير المومأ اليه في المجمع العلمي ، والقيام معه باجراء ما يقتضيه هذا الشان ودمتم محترمين .

دمشق في ١٦ تموز ١٩٣١

وزير المعارف

محمد كرد علي

وعلى الرغم من أن هذا المعرض لم يقم ، فانه يعطي فكرة عن المكانة التي بلغها في ميدان فن الرسم .

وقد عمد الى شخصيات التاريخ الهامة ، فصورها تخيلا لتكون نماذج أو وسائل ايضاح للكتب التاريخية . وبتكليف من وزارة المعارف أو من المؤلفين تخيل صورا لصلاح الدين الايوبي وطارق بن زياد وهارون الرشيد وخالد بن الوليد وابي العلاء المعري وابن سينا والفارابي وغيرهم ، ورسمها ، وحملتها كتب التاريخ المدرسية لمدة طويلة .

وفي أواخر عام ١٩٣٣ اعادت وزارة المعارف النظر في ملاكها وقررت ان يتم تصنيف موظفيها على اساس شهاداتهم ، ولان عبد الوهاب أبا السعود لم يكن يحمل

شهادة جـامعية أو عالية ٠٠ فقد أعيـد الى التعليم الابتدائي مما خلف في صدره حزنا وغضبا ، ثم حافزا على استكمال دراسته العالية في باريس ، ورغم تجاوزه الخامسة والثلاثين ٠

وقد سعى الى ارساله في بعثة من بعثات وزارة المعارف فلم يفلح (١) ، فقرر السفر على نفقته الخاصة ، ومن المال الذي ادخره طوال السنوات الماضيات ، ونفذ ذلك ٠

« هبط العاصمة الفرنسية قويا فتيا واسـع الصدر عالي الجبين ، فخورا بنشاطه كأنه ابن عشرين ٠٠ ليغذي طموحه وفنه ويلقح ثقافتـه بكل جديد طريف تزخر به تلك المدينة الحافلة ٠

قال لي ذات يوم ، وكنـا نمشي في حديقـة اللكسمبورغ :

ـ حاولت أن تبعثني الحكومة على حسابها لأدرس المسرح والتصوير في باريس ، وعندما يئست ٠٠ بعثت نفسي على حسابي ٠ انني اصرف ما ادخرت خلال اعوام واعوام ٠٠ فالمال ليس بذي قيمة لدي ، وليس شيء أبقى من الاثر الفني والابداع الفكري ٠

كنت أجد حرجا في معاملته تحدثا ومزاحا بالصراحة

---

(١) في رسالة اسعد جباصيني ان المعارف اعطته مأذونية سنتين براتب كامل فذهب الى فرنسا ، ثم انقطع عنه الراتب ولكنه أقام ٠٠ والاصح ما أوردناه ٠

المألوفة بين نزلاء باريس من الطلاب العرب في الحي اللاتيني فكان يقول لي :

ـ استاذ . انا شاب . لاتحسبني هرما ولا تتحفظ في مخاطبتي . أنا سبور . انني اماشي ابني كصديقي .

وكان يزيح سترته عن صدره الواسع ويضرب عليه بكفين قويتين ويقول :

ـ أتريد أن نذهب مشيا على الاقدام حتى غابة بولونيا ؟

وكان خلال اقامته عاما أو بعض عام في باريس ، لا ينفك يدرس اللغة الفرنسية ليتقنها ، ويتتبع الآثار الفنية في معاهدها الخاصة والعامة ، ويتعرف الى رجال الفن ويزور المسارح ، ويشاهد التمثيليات الكبرى[1] » .

ومن الثابت أنه لم يقض في فرنسا ، بل في رحلته الى أوروبا أكثر من عام ، ان لم يكن أقل ، ولكن هذه المدة كانت غنية في عينيه ونفسه ، فهو يذكر الكثير عن رحلته ، ويحدث الجميع أبدا عنها .. فكانت تلك البلاد التي زارها ولمس فيها هذا التطور الفني الهائل .. هي البلاد التي يحلم أن تكونها بلاده ، وبسبب من حديثه المستمر والدائم عن رحلته الى أوروبا .. اعتقد كثيرون أن مكوثه هناك قد زاد على أربع سنوات[2] .

---

(١) من مقال للاستاذ فؤاد الشايب . نشر في جريدة « اليوم » عام ١٩٥٢ وكان قد القاه في حفلة الذكرى الاولى لوفاته التي اقامتها اسرة التعليم في مدرسة التجهيز الاولى .

(٢) جاء في مقال نشر بمجلة « عصا الجنة » عام ١٩٥١ « ان =

ويبدو أنه باع بعض انتاجه الذي رسمه في باريس لانه كان يصرف بسخاء ·· كما أنه زار عددا من الاقطار الاوروبية ، وأهم زياراتـه ·· هي زيارتـه لاسبانيا وطوافه في معالم الاندلس الاثرية ، وفيما تركه العرب هناك من كنوز فنية ·· لا مثيل لروعتها وجمالها وحذق صنعتها في العالم كله ·

وعاد عبد الوهاب أبو السعود من أوروبا ، وهو موزع بين الاعجاب بهذه الحضارة الهائلة التي رآهـا هناك من كنوز فنية ·· لامثيل لروعتها وجمالها وحذق الفن في بلاده · واثناء العودة « مر بايطاليا حيث مكث مدة ليست بالقصيرة يحتك بتماثيل ميكل أنج ، ورسوم رفائيل وليوناردو دافنشي[1] · »

وعندما وصل الى دمشق كانت المشاريع الفنيـة تملأ رأسه ·

كان تأثير هذه الرحلة على عبد الوهاب أبي السعود كبيرا ، لا من ناحية اسلوبه الفني ، كمسرحي ورسام ، وانما في نظرته الى المجتمع الذي يعيش فيه · لقد وجد بونا شاسعا بين ذاك المجتمع الذي أمضى فيـه فترة جميلة وبين مجتمعه ·· فبقدر ما للفنون هناك مـن قيمة ·· كان اهمالها هنا واضحا ، وقد وطن نفسه ،

= المرحوم عبد الوهاب أبا السعود تلميذ المسارح الفرنسية ، أرقى مسارح العالم،حيث قضى أربع سنوات يعايش عمالقة المسرح الفرنسي·»

(١) المصدر السابق ·

كما كان من قبل ، على أن يبذل المستحيل لتنمو النبتة الفنية .. لذلك شمر عن ساعد الجد ، مـــن جديد ، ووضع خطة أخرى للعمل .

وكان نصيب المسرح بعد عودته من باريس .. من اهتمامه أكبر من نصيب الرسم .

النشاط المدرسي

« استاذ . انا كما عهدتني في باريس . شاب . فتي . صحيح الجسم . صحيح الفكر . انا في حدود الخمسين . فهل تعطيني أكثر من ثلاثين سنة ؟ »

ابو السعود

شارف عبد الوهاب أبو السعود الاربعين من العمر .. عندما عاد من أوروبا .

وكانت الظروف في وزارة المعارف ملائمة لاعادته الى التعليم الثانوي بعد أن قدم ما يثبت دراسته الاكاديمية في احدى مدارس الرسم الخاصة الباريسية ، وقد حمل معه من هناك عددا من اللوحات التي رسمها على ضفاف السين ، وكانت تختلف اختلافا بينا عن

اسلوبه القـديم في الرسم ، كما حمل أفكارا واحلاما ومشاريع عديدة للبدء في اعمال مسرحية كبيرة على نسق ما رآه في دور التمثيل الفرنسـية ، وفي « الكوميدي فرانسيز » بالذات التي ظل يذكر أعمالها باعجـاب بالغ ٠

كانت السنوات التي تلت ايابه من أوروبا ، وحتى وفاتهفي عام ١٩٥١ أحفلسني حياته بالنشاط والانتاج ، وقد اتجه خلالها الى المدرسة اتجاها مباشرا فأدار نشاطه فيها رسما وتمثيلا ، واستقطب عددا كبيرا من التلاميذ والهواة ٠٠ وهذه الظاهرة فيحياة أبي السعود : اقتصاره على العمل في المدرسة فقط ، قد تكون مناقضة لاحلامه العائد بها من أوروبا ، ولكنها تتكىء على احد احتمالين : الاول ٠٠ شعوره بأن العمل الفني الحر ، خارج حدود المدرسة ، في مجتمع محاط بالتقاليد لم يكتب له النجاح كما يتصور ، والثاني ٠٠ كبر سنه ، وهو الاحتمـال الأضعف ٠

لم يكن وقفا على مدرسة واحدة ، فلقد عمل في « مكتب عنبر » مجددا ، كما علم في « التجهيز الاولى » واستمر فيها حتى وفاته ٠ وبفضله أقيمت مسـارح الثانويات التي ما تزال حتى الآن ميدانا لنشاط الطلبة في فن التمثيل[1] ، وقد صنع هذه المسارح بنفسـه

---

(١) المسرحان الموجودان حاليا بدمشق : المسرح العسكري ٠ ومسرح وزارة الثقافة والارشاد القومي ٠٠ مسرحان حديثان جدا أنشئا بعد وفاته بعشر سنوات تقريبا ٠

بناء وتزيين وتركيب ستائر ورسم كواليس ، وحوادثه في هذا الشأن كثيرة جدا ، فلقد كان قادرا على أن يعد مسرحا بوسائل متواضعة للغاية ٠ من ذلك أنه كان مرة في احدى المدارس « فسأل المدير : لماذا لا تقيمون حفلة تمثيلية ؟ فأجابه المـــدير : ليس لدينـا مسرح ولا ممثلون ! فأضاءت عيون أبي السعود من خلف نظاراته بابتسامة مشرقة ، وقال : هات خشبتين ، وقطعة كبيرة من القماش ، وبضعة طلاب يجيدون الالقاء ٠ وأنا أقيم لك حفلة تمثيلية ٠ واعطاه المدير خشبتين وقطعة كبيرة من القماش وبضعة طلاب يجيدون الالقـــاء ، وشهدت المدرسة في ذلك العام حفلة تمثيلية لم تحلم مدرســة بمثلها في دمشق ٠ ان ميزة أبي السعود أنه كان «دينامو» من النشاط لا ترميه في ساحة مقفرة الا نهض واقفا وملأها حركة وحياة[1] ٠ »

وقد قدم على هذه المسارح المدرسية طائفة مــن مسرحياته التي ألفها أو اقتبسها ، ومن فصوله الضاحكة الهادفة التي كان يقدمها بين فصول المسرحية الرئيسية ترفيها عن الجمهور ، حتى بلغ عدد الحفلات المسرحية التي قدمها في احدى السنين خمسين مسرحية ٠٠ في مدارس مختلفة وعلى مسارح متعددة ٠

واستمرت به الحال على هذا النحو « مدرســا بسيطا ، وكانت الغربان السود والاقزام تتسلق المراتب

---

(١) من مقال نشر في مجلة « عصا الجنة » عام ١٩٥١

وهو واقف لا يملك الا أن يتطلع ويبتسم بمرارة ، [1]
متحمسا للعمل الفني ٠٠ من أجل الفن لا من أجل شيء آخر والشيء البارز في حياته خلال هذه الفترة قيامه في مطلع الحرب العالمية الثانية ، وربما قبل ذلك بقليل ، برحلة صيفية الى فلسطين ٠٠ زار خلالها مسقط رأسه ، نابلس ، وعددا من المدن الفلسطينية الاخرى ، وتعرف على النوادي والفرق التي تعنى بالمسرح والتمثيل واستقبل استقبالات حافلة ٠

ويبدو أن الهدف الرئيسي من رحلته هذه ٠٠ كان الارث الذي خلفه والده عبد الله شوقي أبو السعود عندما هجر فلسطين في مطلع القرن العشرين غاضبا من ذويه الذين أمسكو الارث عنه ، واحجموا عن اعطائه حصته ، وقتئذ ، وكما لم يصب الوالد شيئا ٠٠ عاد عبد الوهاب أبو السعود من فلسطين وقد مني باحجام مماثل ، ولكن هذه الرحلة أفادته في معرفة المدن الفلسطينية المناضلة عن كثب[2] ٠

---

(١) المصدر السابق ٠

(٢) يذكر اسعد جباصيني في رسالته ان عبد الوهاب أبا السعود اشترك في الثورة المسلحة التي نشبت عام ١٩٣٨ في فلسطين ويقول : « فقد كان أخوه فهمي أبو السعود كيمائيا وصيدليا ، وفوق ذلك كله وطنيا عظيما ، فقام بتركيب القنابل وعمل المتفجرات في صيدليته سرا ، وكان يبعث بذلك الى عرب فلسطين ، وكثيرا ما كان ــ أي عبد الوهاب ــ يلبس لباس الفلاحين ويحمل العربات بالقنابل والمتفجرات ويغطيها بالخضراوات ويسوق القوافل عبر القرى الجبلية ٠»

خلال الحرب العالمية الثانية ٠٠ أمضى عبد الوهاب أبو السعود سنيها المضطربة في التعليم وفي النشاط الفني الذي كان يقتطع وقته كله ، وقد مات حلمه القديم « بانشاء فرقة مسرحية نموذجية ينصرف لها ويترك التدريس ، وانحصر نشاطه في الآونة الاخيرة ضمن جدران المدارس المختلفة في دمشق[1] » ، واقتصر على ما يدور داخل المدرسة من نشاط ، وعلى أعماله الخاصة في ميدان الرسم ، وان كان يتوق الى الاقدام على عمل يهز البلد هزا ٠٠ وقد تهيأ له هذا عندما جاءه رجل ايراني يدعى « جواهري » وقدم له نفسه على أنه أحد كبار منتجي الافلام الايرانيين ، وعرض عليه انتاج أفلام ايرانية سورية مشتركة ، ولم يكن قد سبق لسورية أن انتجت أفلاما طويلة جدية ، فوافق عبد الوهاب أبو السعود على أن يكون ممثلا في أول فيلم مشترك ، وعلى أن يعد الديكورات اللازمة للمشاهد التي ستصور تصويرا داخليا في سورية ، وكان يهدف من هذا الى التمكين من هذه الصناعة الجديدة التي شاعت في العالم كله ، ولم يكتب لها أن تظهر في سورية ، وبالفعل أعد بعض التصميمات لديكورات الفيلم المشترك ، بل ورسمها ٠٠ غير أن « جواهري » الايراني لم يعد ٠٠٠ وانطفأت أول محاولة في العمل السينمائي ٠

وعاد عبد الوهاب ابو السعود الى المحاولة في الميدان السينمائي بعد ذلك عندما أتاه بعض الافراد من عائلة

---

(١) عن « عصا الجنة »



أبو السعود في اقصى اليسار في احدى محاولاته السينمائية

« الجوزي » الفلسطينية فعرضوا عليه مالا لانتاج مسرحيته الذائعة الصيت « وامعتصماه » التي كان قد قدمها عشرات المرات على مسارح المدارس ، ومسارح مختلفة اخرى ، واخراجها سينمائيا ، لاعجابهم البالغ بها ، وقد طلبوا منه كتابة سيناريو لها ٠٠ على أن تمثلها فرقة من طلبته وممن يعتمد عليهم في التمثيل عادة ٠٠ في احد الاستوديوهات المصرية في القاهرة ـ وكانت مصر قد بلغت شأوا كبيرا في عالم الصناعة السينمائية وقتئذ ـ وتحسبا لما قد يحصل كتبت العقود بين عبد الوهاب ابي السعود وبين آل الجوزي ، ووضع المال اللازم لانتاج الفيلم في احد المصارف ، وشرع عبد الوهاب في اعداد السيناريو اللازم الذي استغرقت كتابته أشهرا ، وعندما انتهى منه حمله أصحاب المشروع الى مصر ٠٠ ولم يعودو أيضا ٠

والمحاولة الثالثة له في ميدان السينما ٠٠ كانت مع صديق له ، هاو ، اسمه نور الدين رمضان لم يكتب لها الظهور هي الاخرى ٠

ولقد كان خلال مضيه في دوامة النشاط المسرحي ، وتجشمه عناء القيام بحفلات مسرحية للجمعيات الخيرية ، بالاضافة الى المدارس ، ذات الهدف الانساني ، كان يفكر تفكيرا جديا بالسعي لدى الحكومة السورية وقتئذ بتأسيس معهد عال للتمثيل ٠٠ اسوة بباقي الامم الراقية التي كانت تضم الى جامعاتها الكبرى ٠٠ المعاهد العالية للتمثيل ، وكان يحلم بأن يكون قصر العظم في دمشق مكان هذا المعهد ، وقد نقل أفكاره

وأحلامه الى المسؤولين أكثر من مرة ، وكان فيهم وزراء معارف ، وشرح لهم الفائدة المرجوة بقيام مثل هـذا المعهد ، فوعد بالعمل لتنفيذ ذلك غير ان هذا الوعد لم يصر حقيقة قط .

ولعل هذه الخيبة في تحقيق أحد أحلامه الكبرى قد قادته الى تاسيس فرقة مسرحية من طلابه المخلصين الاوفياء .. فكانت هذه الفرقة ، في أواخر سني حياته ، عزاءه وكان اعضاؤها أمله في الاستمرار وحمل الرسالة التي حملها وحيدا من قبل ، وكان يعتمد على هـذه الفرقة اعتمادا كليا في اقامة الحفلات المسرحية التي كان يطلب منه اقامتها لصالح مدرسة ما او جمعية خيرية ، ولم يكن ليرد طلبا .

وعلى هذه الفرقة اعتمد في تنفيذ تمثيليات وبرامج عهد اليه بها لصالح الاذاعة السورية الناشئـة بعد الاستقلال ، وقد قدم للاذاعة اعمالا جيدة .

كانت الاذاعة قد دخلت مع البلاد في عهد وطني » وكنت قائما على ادارتهـا ، وكان علي أن أستعين بأنصار الفن التمثيلي في البلاد ، لنقدم للاذاعة تمثيليات جديدة بفنها وبموضوعها فوجدت في الفقيد تلك الروح الوثابة التي تماشي روح العصر ، ولا تفاجأ بالاحداث ، ولا تتمسك بالتقاليد وبالاعراف المندرسة ، وكان يقول لي : ان ما تطلبه الاذاعة لأمر جد عسير ، فالتمثيـل الذي ألفناه على المسرح ، غير التمثيل الذي يجب أن نؤديه بالاذاعة ، فالتمثيل المسرحي يختلف عن التمثيل الاذاعي كل الاختلاف ، انما يصب الأول على العين ،

ويصب الثاني على الأذن وان كثيرا من مبادىء المسرح تتلاشى وتضمحل أمام المذياع وتصبح عديمة الجداء ؛ وكان عبد الوهاب أول من فطن الى دقة التمييز بين مبدئين وهدفين وفنين في مطلع حياة الاذاعة السورية . ولقد حاول معي في بعض حواريات اذاعية محـــاولات اذكرها له بالاحترام والتقدير .[1] »

وكان خلال هذا كله حريصا على الرسم ، وقد انجز في هذه الفترة بعض لوحاته المعروفة ، « ووقف في المدة الاخيرة معظم وقته للرسم ، وخاض بانتاجـه معارض كثيرة كان فيها مجليا . [2] »

وظل الامر على هذا المنوال حتى صيف عام ١٩٥١ وكان عبد الوهاب يصطاف في بلودان مع أسرته ، وقد لاحقه العمل المسرحي الى المصيف ، اذ رجاه راعي احدى الكنائس في بلودان باعداد حفلة مسرحية يغشاهامدعوون تدعوهم الكنيسة نفسها ، فوافق دون تردد .. وطلب من أعضاء فرقته الذين كانوا على اتصال دائم به أن يعدوا الحفلة المناسبة .

ولأول مرة في تاريخ أبي السعود يجلس مع النظارة أثناء العرض ويرى الى ما يقوم به تلامذته النجبـــاء الذين أعدهم بنفسه اعدادا مسرحيا مثاليا ، وكانت عادته أن يقف أثناء العرض وراء الكواليس يوجه وينتقد

---

(١) عن مقال للاستاذ فؤاد الشايب في جريدة « اليوم » عام ١٩٥٢ كان القاه في حفلة الذكرى الاولى لوفاة أبي السعود .

(٢) عن « عصا الجنة »

ويدير الحركة على المسرح · وقد نجحت الحفلة نجاحا كبيرا مما أثلج صدر أبي السعود ودفع الى رأسه كثيرا من التخيلات والاحلام عن غزوات في عالم الفن سيغزوها بهذه الفرقة : النبتة التي زرعها بعد جهاد خمس وثلاثين سنة ·· فأثمرت ·

كانت تلك الحفلة آخر حفلاته المسرحية ··

ولم يكن مريضا ، ذات مساء في بلودان ، وانما شعر بتعب مفاجىء ، وعلى صدر زوجته مال برأسه المليء بالمشاريع وبالاحلام الفنية ليستريح ، وما هي الا دقائق حتى أسلم الروح ، بهدوء ··· يناقض ما كان يحدثه عبد الوهاب أبو السعود من حركة وضجة وحياة فيما حوله ·

وكان لوفاته صدى أسف في جميع المحافل التي عرفته استاذا ورساما وفنانا ·· وانسانا قبل اي شيء آخر · وشيع جثمانه في دمشق بموكب حافل ، وأفردت الصحف ، وقتئذ ، صدور صفحاتها للحديث عنه وعن مناقبه ، وأبنه كبار الكتاب والفنانين في حفلات خاصة ، وأعلن تلامذته أنهم سيستمرون في حمل رسالته الفنية ·

كانت وفاته في ايلول من عام ١٩٥١ ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن ، والناس يتحدثون عن أبي السعود حديثا مشوبا بالاسف على هذا الرائد الذي خلف فراغا في النشاط الفني · وعاش حياته منصرفا كل الانصراف الى خدمة وطنه عن طريق الفنون الجميلة ، وانقطع خلالها الى تنمية الذوق الفني في تلاميذه

ومجتمعه ٠٠ ولم يكن طالب شهرة او طالب مال ، بل كان الجندي المجهول الذي أضاء جانبا من الطريق ٠

وقد أجمع من عرفوه على انه انسان بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ٠ طيب القلب ٠ يثور بسرعة ويرضى بسرعة ٠ « ذو ولع عنيف بالتجديد وادراك كل تطور[1] » وكان ذا ردود فعل عنيفة وحاسمة[2] ، ومجلس ممتع لا يمل ونكتة عفوية تخرج لاذعة وفي وقتها ٠ غير محب للمال او مكترث بقلته او كثرته ، صريحا الى أبعد ما تكون عليه الصراحة التي تجلب للمرء أعداء ٠ معتدا بنفسه واثقا بها ، يحتقر خصومه بقسوة واستعلاء ، حدوبا على أهله ، مهتما بتعليم أولاده اهتماما بالغا ، غير مغرور ـ كما اشيع عنه ـ « فالغرور ألا يرى الانسان الا نفسه ، غير ان عبد الوهاب كان يرى الآخرين ايضا ، وكان يفرح ، كطفل ، ساعة يجد امامه موهبة وليدة ٠٠ فيحتضنها ويدرسها ويرشدها ٠ [3] »

---

(١) المصدر السابق ٠

(٢) من ذلك أن الفنان ميشيل كرشه اتهم عبد الوهاب أبا السعود بان لوحته المعروضة في احد المعارض والتي تردد أنها ستنال الجائزة الاولى ليست له وانه جلبها معه من فرنسا ، فما كان منه الا أن أمضى ليلة كاملة رسم خلالها حوالي خمسين لوحة مشابهة للوحته المعروضة في المعرض ، واعطاها للمكتبات العامة في الصباح لتباع ٠٠ اظهارا لبراعته في الرسم وردا على الاتهام القاسي ٠

(٣) من مقال عن الفقيد بقلم الاستاذ شوقي بغدادي ٠

توفي أبو السعود وترك فراغا بعض الوقت ، وعلى ما صنعت يداه طوال خمس وثلاثين سنة في عالم المسرح والرسم تفتحت الاكمام عن عبقريات صغيرة في الفنين تحاول الآن فيهما ..

ولم يترك عبد الوهاب أبو السعود سوى مسرحيات وحواريات وتمثيليات ، بعضها القليل مطبوع ، والبعض الكثير ضائع او محفوظ في منازل اصدقائه وتلامذته ، كما لم يترك سوى لوحات فنية موزعة على اصدقائه ومعارفه وذويه ، وعلى المتحف الوطني وقصر العظم والثانويات التي عمل فيها ، وقسم لا بأس فيه منها محفوظ في دار ابنته .

« واذا سئل كل امرىء عن جسمه فيما أبلاه وعن علمه فيما صنع فيه ، فقد أبلى الفقيد جسمه ، وبذل كل علمه للخلق الكريم والمثل الصحيحة ، فما كان أداة لشر ولا سلك سبيلا الى ضلالة ، حتى رجعت نفسه راضية مرضية [1] . »

---

(١) من مقال الدكتور جميل سلطان في جريدة الفيحاء عام ١٩٥٢ وكان قد ألقاه في حفلة الذكرى الاولى لوفاة المرحوم أبي السعود

الفصل الثاني

اعمال عبدالوهاب ابوالسعود

في التمثيل ...

« واذا انتهينا الى التساؤل عن فلسفته كرجل عاش للفن والعلم فنحن لا نبحث عن شيء عميق معقد .. لان فلسفته كلها كانت قائمة على مبادىء من المثل العليا .

« الدكتور جميل سلطان »

ليس صدفة أن يكون المرء فنانا . ان الفن موهبة تنشأ مع الانسان ، وبرعايتها وصقلها تنمو وتزدهر ، وباهمالها وكبتها تخبو وتنطفىء .

على هذا النحويصح القول انموهبة ابي السعود .. قد ولدت معه ، فكان فنانا منذ الدقيقة الاولى التي عاشها .

واذا كان في الفرقة التمثيلية المصرية الجوالة التي مرت بصيدا في أوائل هذا القرن بعض ما أثار انتبـاه

عبد الوهاب أبي السعود الطفل ، وما جعل موهبته الكامنة في حالة تحفز وفضول ، فان رحلته الى مصر ، كانت منطلقا لهذه الموهبة وتثقيفا لها ·

لم تكن بلاد الشام (١) وقتئذ في حالة تسمح لها أن يزدهر فيها هذا الفن ويتطور ويترعرع « وان كان قد بدأ فيها · (٢) » وقد نقله السوريون الى مصر « وذلك لعدة اسباب : منها ان مصر كانت قد وصلت الى نوع من الاستقلال الذاتي عن الحكم التركي بجهله وتعصبه وظلمه وظلامه حتى أصبحت تبعيتها لتركيا تبعية شكلية لا تكاد تعدو الاتاوة السنوية التي يرسلها والي مصر الى الآستانة ، ثم الدعاء للخليفة التركي على المنابر في خطب الجمعة ، واستطاعت مصر بفضل هذا التحرر أن تفتح أبوابها للحضارة الانسانية التي آلت الى الغرب ، وان تأخذ بأسباب تلك الحضارة مما رفع مستواها المادي والثقافي فنمت ثروتها وازداد عدد سكانها وتبدد بعض الظلام المخيم عليها وتفتحت أذهانها الى تلقي فن جديد كفن التمثيل حتى رأينا خديويها نفسه اسماعيل يبني في عاصمتها دارا للاوبرا وكل ذلك بينما كان حكام الاتراك في البلاد العربية الاخرى لا يزالون يناقشون ما اذا كان الاسلام يجيز فن التمثيل أو يحرمه ، وحتى من سمح به من اولئك الحكام لم

---

(١) بلاد الشام وقتئذ كانت تعني سورية ولبنان وفلسطين والاردن حاليا ·

(٢) عن كتاب المسرح للدكتور محمد مندور

يكن يرتاح الى انتشاره في ولايته اما لتعصب ديني غبي وغيرة كاذبة على الخلفاء السابقين اذا كانت الرواية المسرحية تتعرض لاحد منهم ، كما حدث في روايه هرون الرشيد التي ألفها مارون النقاش وقيل انه تعـرض فيها لنكبة الرّشـيد للبرامكة فغضب لذلك الحـاكم التركي متظاهرا بالغيرة على سمعة الرشيد ، ولعله قد غضب في حقيقة الامر خوفا على سيده الخليفة التركي وعلى امثاله من حكام الولايات الذين يتضاءل الى جوار ظلمهم وغدرهم فتك الرشيد بالبرامكة · وعلى أيـة حال فالثابت تاريخيا أن من نجح في فن التمثيل وأحس من نفسه القدرة عليه من اخواننا السوريين كان لايلبث أن ينزح بفنه الى مصر حيث المجال اوسع والامكانيات أيسر والجو السـياسي والاجتماعي أكثر حريـة وانطلاقا · (١) » وقد ظلت الحال على هذا النحو حتى تخلصت الشام من نير الحكم العثماني ·· في حين أن مصر قد سارت فيه اشواطا نحو الكمال ·

في مصر عرف عبد الوهـاب أبو السعود الفن التمثيلي على حقيقته ، وتفتحت عيناه أول ما تفتحت على الممثل المخرج جورج أبيض (٢) ، العائد من اوروبا

---

(١) المصدر السابق ·

(٢) ولد جورج أبيض في بيروت عام ١٨٨٠ وتلقى دروسه في مدرسة الحكمة وتثقف في اللغة الفرنسية ثم هاجر الى مصر في سنة ١٨٨٩ ليعمل ناظرا لمحطة سيدي جابر مع الاستمرار في مزاولة فن التمثيل كهواية مع بعض الفرق الاجنبية التي كانت تعمل في الاسكندرية =

حديثا ، المهتم بأداء واخراج مسرحيات شكسبير باللغة العربية ، وقد جلس عبد الوهاب كمتفرج أول الامر يرى الى ما يمثل امامه مبهورا بجورج ابيض الممثل ، وصوته الجهوري وقدرته الفائقة على التعبير بوجهه وبيديه ، ومأخوذا بالشخصيات العنيفة ، كشخصيتي عطيل وهاملت في المسرحيتين الشهيرتين ، التي تتحرك في معان واهداف قد تكون بعيدة عن فهمه وقتئذ . لقد أعجب بالشكل الظاهر لجورج أبيض الممثل اكثر من فهمه للمضمون الذي تتحرك بسببه الشخصيات التي كان هذا يمثلها ، وقد ظل هذا الاعجاب لصيقا به طول حياته (*)

واتصل بجورج أبيض .. وكان هذا الاتصال خطوة حاسمة في حياة عبد الوهاب أبي السعود الفنية ، ذلك أن جورج أبيض الذي استطاع بخبرته اكتشاف موهبة أبي السعود قد شجعه ، ودفعه ، بالتالي ، الى ان يمضي في طريق الفن الى النهاية .

وكانت مهمة عبد الوهاب أبو السعود ان يتعرف الى كل شيء عن التمثيل ، فبدأ بأعمال تتصل باعداد المسرح وأتقن ذلك ، وكان فيما اتقنه .. كيفية رسم

= حتى جمع بعض المال وحظي بمساعدة الخديوي عباس الثاني فسافر الى باريس في سنة ١٩٠٤ حيث تلقى فن التمثيل على كبار اسدتذته هناك وتلمذ بنوع خاص على يد الممثل الفرنسي الكبير « سليفان » Silvain (١٨٥١ ـ ١٩٣٠) وعاد من باريس الى مصر في سنة ١٩١١ ، وهي نفس السنة التي كان فيها أبو السعود في مصر .

الديكورات المرافقة للمشاهد ٠٠ الامر الذي نمى عنده حب الرسم ومعرفة مزج الالوان ، ثم تطور به الامر فاصبح في عداد الممثلين الثانويين [١] الذين يظهرون في المشاهد لتكملتها او لحشوها بالممثلين الملائم ظهورهم فيها ، ثم انتقل الى مرحلة ثالثة عندما عهد اليه بتمثيل بعض الادوار في مسرحيات كثيرة ، منها مسرحية « جريح بيروت » التي الفها الشاعر المرحوم حافظ ابراهيم ، ومسرحية « أوديب » لسفوكليس التي ترجمها فرح انطون ، ومسرحية « عطيل » لشكسبير التي ترجمها خليل مطران ، ثم مسرحيات موليير الهزلية الشهيرة مثل « ترتوف » و « مدرسةالازواج » و «مدرسة النساء » و « النساء العالمات » ثم مسرحية « لويس الحادي عشر » التي اشتهر جورج ابيض بتمثيل دور البطولة فيها ٠ ولحسن حظ ابي السعود كانت هذه الفترة هي فترة العودة الى التمثيل باللغة العربية في مصر ، وكان قبل ذلك باللغة الفرنسية[٢] ٠

كانت عين عبد الوهاب في ذلك مفتوحة على ما يجري اثناء التمثيل ، وما قبله وما بعده ، وقد اتقن الحرفة خلال مدة قصيرة فصار يستطيع اعداد مسرحية كاملة منذ استلام النص وحتى تصفيق الجمهور، بمفرده٠

ولم يقصر نشاطه على فرقة جورج أبيض ٠٠ رغبة

---

(١) الكومبارس

(٢) طلب وزير المعارف المصرية وقتئذ المرحوم « سعد زغلول » من جورج أبيض بان يعنى بالتمثيل العربي فقدم المسرحيات المذكورة ٠

منه في التعرف على اجواء مسرحية مختلفة تثقفه فنيا ، فعمل في فرق اخرى ، وعايش الممثلين ، واختلط بهم ، وعرف أخبار وحكايات المسرحيات التي مثلت والتي في سبيلها الى الاخراج ، وقرأ المطبوع والمخطوط من المسرحيات ، وتسقط أنباء الحركة المسرحية في العالم كما كان يرددها المسرحيون المصريون ، وكان كل ذلك بمثابة ثقافة مسرحية تسلح بها عند عودته الى بلاد الشام ٠

وكانت رأسه مليئا بأحلام ومشاريع لا تحصى ٠

ويمكن الجزم بأن عبد الوهاب قد بدأ عمله المسرحي بالمسرحية التي ألفها الاديب المرحوم معروف الارناؤوط والمسماة «جمال باشا السفاح » ، ولم يكن خلال المدة الطويلة التي عاشها في دمشق ٠٠ يخبط في عالم التمثيل خبط عشواء ٠٠ وانما كان ذا أهداف يريد تحقيقها ، يدل على ذلك نوع المسرحيات التي قدمها : ما كان مترجما ، وما كان موضوعا ٠

وتقسم مسرحياته ، بما فيهاتمثيليات الاذاعة ، الى:

١ ــ مسرحيات المناسبات ٠

٢ ــ المسرحيات المترجمة ٠

٣ ــ المسرحيات التاريخية « من التاريخ العربي والاسلامي » ٠

٤ ــ المسرحيات الشعبية ٠

« وهذه الانواع التي غلبت على فن الفقيد وأدبه التمثيلي ٠٠ تحمل طوابع المؤثرات التي صدرت عنه ، وأول هذه المؤثرات ثقافته المتعددة الاصول والمنابع ،

فقد كان ، رحمه الله ، كثير الولوع بالتاريخ والادب ، قديمه وحديثه ، عربيه وغربيه ، وكانت الامجاد الغابرة القديمة تستثير لبه بما فيها من تضحية واقدام ، وفضائل يتخلف عنها زماننا الحاضر ولا تنهض أمة بدونها ، فكان يرى فيها السبيل الى التوجيه والترفيه معا ، يغترف من معينها ، ويقدم للناس شيئا جديدا في معرضه قديما في اصله يهيب بالمروءات السواكن ، ويعلم الابناء كيف يكون البناء ، وبذلك كان مدينا بطائفة من مشاهده الفنية الى الماضي البعيد • ولاخلاق الفقيد الشخصية وسجاياه التي فطر عليها أثر بليغ في انتاجه أيضا ، وبحسبك أن تشهد بعض مؤلفاته لتتعرف الى مؤثراته الخلقية ، اذ كان لا يخلو مشهد من فكرة كريمة يدين بها أو رأي حصيف يأخذ نفسه به كالوطنية والاخلاص والنقد وتقديس مجد الاسلام والعرب مع ذكاء يؤثر السهولة والوضوح ويحقق المداورة والتعقيد ، كما كان سليم دواعي الصدر • يحيا في فنه حياة حب وايثار ووفاء • وكان اثر البيئة والاوساط الاجتماعية واضحا في انتاجه ، فكان لرحلته الى مصر وهوايته التمثيل فيها ، ثم مباشرته لمختلف البيئات الثقافية والعلمية والشعبية الساذجة • كان لكل ذلك انطباع في نفسه وفي أدبه ، وكانت نفسه ممتلئة بالملاحظات عن اوساطه المختلفة ، وقد ظهر أثر زهيد منها في انتاجه ولو أنه دونها جميعا ، وأطلق سجيته على ما تحب من التدوين لثار به قوم ورضي عنه آخرون ولزاد في أساه كرجل فن يتطلع الى الكثير من التقدير فلا ينال الا دون ما يشتهي ،

ولكان معأساه أوسع افاقا واخلد خلودا ، لان الموضوعات الاجتماعية التي يمكن أن ينتفع بها في فنه مستفيضة جدا مثل قضايا الزواج والاسرة والابناء والبيئات ، وكالمشاكل السياسية والافكار الطارئة الدخيلة ، وقد كانت له في كل اولئك آراء معروفة لم يتناولها في التمثيل بمقدار واسع ، واذا فاته شيء من ذلك فلم تفته محاربة المباذل وتأييد الفضائل التي كان يتمثل فيها خير المجتمع[1] . »

داخل اطار من هذه المبادىء والتعميمات المتعلقة باهداف عبد الوهاب أبي السعود .. قامت المسرحيات جميعها بأنواعها المذكورة .

أما مسرحيات المناسبات .. فقد كان للفنان أبي السعود ولع خاص باخراجها « تأييدا لفكرة يؤمن بها ويسعى الى تحقيقها ، وأغلب ما كان ذلك في اغراض المجتمع الحديث والنهضة القومية الجديدة فكان يستجيب لدعوات المدارس والجمعيات والمنظمات فيما لا يناقض أفكاره الخاصة ، فيؤلف مثلا مسرحيتي « ميلاد محمد »[2] ، « ونسور سورية » استجابة لجمعية الطيران السوري ، ويفعل مثل ذلك في مسرحية

---

(١) من مقال الدكتور جميل سلطان عام ١٩٥٢ وعنوانه « الادب التمثيلي لفقيد الفن عبد الوهاب أبي السعود » وقد نشر في جريدة الفيحاء ، بعد القائه في حفلة الذكرى الاولى للوفاة .

(٢) مطبوعة في كتيب صغير من ١٨ صفحة لحساب دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر .

« خطر الامية » التي استجاب فيها لرغبة منظمة من مكافحة الامية . وفي مسرحيتي « الزهراء » و « ولادة » اللتين خص بهما معهدا من معاهد التدريس للاناث ، وصور فيهما لونا من ألوان الاندلس المشرفة . وأحسب أنه كان كثير الحذر في هذا الضرب من المسرحيات التي تعالج قضايا المجتمع الحديث لا رغبة في المسايرة وعدم المشاكسة في النقد ، فقد كان من الجراة بحيث لانستطيع أن نعزو اليه أشباه ما ذكرت ، ولكنه كان أميل الى الانتاج وأحرص على الزمن من اضاعته في الاخذ والرد[1]»

ولقد بدأ حياته المسرحية بهذا الضرب من المسرحيات .. ومع أنه لم يصلنا نص مسرحية « جمال باشا السفاح » فلقد عرف عنها ، كما يدل اسمها واحداثها وتاريخ تمثيلها ، انها مسرحية مناسبة .. كتبت ومثلت دعما للعهد الوطني الذي تلا عهد الاتراك المظلم الرهيب ، فكانت خير تعبير عن اتجاه عبد الوهاب أبي السعود الوطني ، وعن تسخيره خبرته الفنية لاغراض قومية والمسرحية المذكورة تتألف من مقدمة وثلاثة فصول يتخللها مشهد خاص . أما المقدمة فتمثل عرافا عربيا قديما[2] يقف على خشبة المسرح في مواجهة الجمهور ، ويلقي مونولوجا طويلا عن نبوءة له بأن العرب

---

(١) المصدر السابق .

(٢) قام بأداء هذا الدور « عبد العزيز الجاهلي » الممثل المصري الذي منعته الاحداث من لسفر الى بلاده ، فاشترك في هذه المسرحية وكان ناجحا كل النجاح .

مقدمون على اتحاد ، في القريب العاجل ، يجمع شملهم في دولة واحـــدة ، ويسدل الستار لتبـــدأ فصول المسرحية وهي تروي كيف حوكم الابطال العرب[1] من قبل الاتراك ، وكيف تصرف جمال باشا بالنسبة لهذه القضية ، وما هو دور الشيخ سعيد الباني[2] فيها ، وينتهي الفصل الثالث بانتهاء الحرب وانكسار تركيا ٠ وأما المشهد الخـاص الذي قدم بين الفصلين الثـاني والثالث ٠٠ فقد كان مشهدا قصيرا صور فيه عبــد الوهاب أبو السعود كيف تم اعدام الابطال العرب وكيف علقوا على المشانق « ولقد اتقن اخراج هذا المشهد اتقانا كبيرا وسلطت الاضواء الصفراء على وجوه الممثلين المعلقين على اعواد المشانق ٠٠ بحيث شعر الجمهور برهبة ، واستعاد الصورة الحقيقية لاعدام ابنائهم ورجالاتهم[3] ٠»

قام عبد الوهاب أبو السعود باخراج المسرحية ، وخص نفسه بأصعب الادوار ، ووزع الادوار الاخـرى على عدد من أعضاء النادي العربي ، ومن تلامذته في العمل المسرحي ، ومنهم من توفاه الله ، منهم منير العيطة وسليم الدرة وتوفيق العطري وفؤاد محاسن وسعيد الحافظ وناصر المؤيد وياسين الخانجي وأديب الصفدي

---

(١) شهداء السادس من أيار

(٢) احد الابطال العرب الذين حكموا بالاعدام ، وقد هرب واشترك في الثورة العربية ودخل دمشق مع الجيش لعربي ٠

(٣) عن قول للسيد سليم الدرة احد ممثلي مسرحية « جمال باشا السفاح » ٠

وخالد الخطيب ، وقد « مثل عبد الوهاب أبو السعود جمالا السفاح أروع تمثيل حتى ليخيل الى الناس فيما انتهى الينا أن السفاح الطاغية على المسرح بلحمه ودمه ، وان الشهداء قد نصبوا على المشانق من جديد فتثور النفوس وتلتهب الدماء في العروق ، ويود القوم لويفتكون بهذا السفاح لولا علمهم أنه تمثيل وأنه عبد الوهاب أبو السعود ـ رحمه الله ـ واذا كان لكل شهرة مرد ، فقد كان ذلك الدور مرد الشهرة التي استفاضت للفقيد من بعد[1] . »

ولقد كان الاقبال شديدا على رؤية هذه المسرحية ذات الاسم المغري والملائم للظرف ، « وبيعت بطاقة الدخول الواحدة ، في السوق السوداء بعشرة جنيهات مصرية[2] » ، ومهما يكن من أمر بأن هذه المسرحية قد كسبت للفن أنصارا متحمسين لانها ضربت على الوتر الحساس ودمجت المسألة في اطار فني ، استهوى حتى أوائل الغاضبين على المسرح .

ولعل هذا الكسب الذي وصل اليه عبد الوهاب أبو السعود .. هو من أثمن الامور التي دفعت بالحركة الفنية في سورية الى الامام اشواطا .

لابي السعود في هذا الضرب من المسرحيات .. مسرحيات كثيرة ذات مواضيع مختلفة كل الاختلاف

---

(١) من مقال الدكتور جميل سلطان .

(٢) عن قول للسيد سليم الدرة .

بحسب الظرف الذي ألفت أو مثلت من أجله ، وهي ، جميعها ، تدل على أنه وضع خدمة مجتمعه عن طـريق المسرح والمسرحيات ·· نصب عينيه ·

ومـن مسرحياته التي تصلح لتكون نموذجـا لمسرحيات المناسبة ·· المسرحية التي قدمهـا في نادي الضباط بدمشق بعدالاستقلال،وعنوانها « بعدالمعركة »، وهي ذات فصل واحد ·

وهذا مقطع صغير منها[1] :

« المنظر : ردهة في المستشفى تحيط بها الغرف ، وقد كتب على احداها : غرفة العمليات الجراحية· وفي الوسط مائدة والى جانبها مقعد كبير ينـام فوقه الممـرض حسن · ثم يـدخل الممرض سليمان :

سلميان : يا حسن (حسن يغط في نومه) هـذا الكسول لا يزال نائما كأنه مصاب بمرض النوم « يهزه » يا حسن ·

حسـن : هم

سليمان : كفـاك نوما فالطبيب يدعوك الى غرفـة العمليات · هناك مريض بحالة الخطر · انهض · هيا

---

(١) من مخطوطات موجودة في بيت ابنته السيدة اميمة ، وقد كتب عبد الوهاب في مقدمتها أنها كتبت خصيصا لجمعية الهلال الاحمر ونادي الضباط ·

حســـن : اذهب فاضرب عنقه
سليمان : مجنون
حســـن : وعد الي برأسه يا سرور
سليمان « ضاحكا » : أنا سرور يامولاي الخليفة
حســـن : اذهب كما قلت لك فلا يجدي النـــوم في استعادة ما فرط
سليمان : اجلس أولا قلت لك · اجلس
حســـن : يا سبحان الله · ما شأنك وأي مس أصابك حتى أتيت تسلبني راحتي وتزعج رقادي (يفرك عينيه) هه · سليمان · قل خير ان شاء الله · كنت أحلم حلما لذيذا ·
سليمان : انك احد الذين ينزلون الخرافات منزلـة الحقائق · أتريد أن ترد لي حلمك بينما الـــوقت لا يتســـع لســـماع مهاتراتك وسخافاتك · انهض ··
حســـن : ماذا تقول ؟ المنـام سخافة · ما رأيت في حياتي مناما الا تحقق في اليقظة · احـزر بالله عليك ·
سليمان : اظنك رأيت نفســك جالســا عــلى عـرش الرشيد · أليس كذلك ؟
حســـن : يا سلام عليك · حزرت والله · انك لذكي وكان يجب أن تصير طبيبا · يا سليمان الله لا يحرك الحظ لانسان ·
سليمان : حسبنا الله ونعم الوكيل · ما يزال عندنا

عادات موروثة وأخلاق يجب ازالتها والسير بنا بما يناسب روح العصر ٠

حســن : العصر الظهر ٠ هذا كلام فارغ ٠ أنا لا أغير عقيدتي ٠ ستي وجدتي وأمي وأبي يعتقدون هـذا الاعتقـاد ٠ انت جئت لتطـرز الفن (تدخل الممرضة هالة تمسك بيد المريض سليم)

هـالة : سر على مهل ٠ تعـال يا حسن ساعدني لايصاله الى المقعد ٠

حســن : انني طوع أمرك ٠ اذهب انت الى الدكتور يا سليمان ٠

سليمان : ولكنه يطلبك انت ٠

حســن : ألا يمكن أن نتبادل العمل ؟

سليمان : ولكن هذا مضر بمصلحتك فأسرع

حســن : لست بحاجة الى ارشادك ٠

هـالة : ما دام الطبيب يطلبك فاسرع الى عملك ٠ تعال يا سليمان ٠

سليمان : في خدمتك آنستي

حســن : طيب ٠ الايام بيننا يا سليمان (يخـرج حسن ويجلس المريض بصعوبة)

هـالة : اذهب يا سليمان وناد الطبيب فؤاد

سليـم : كلا ٠ دعيني استرح قليـلا فانني مللت الاقامة في سريري وعافت نفسي الدواء ٠

هـالة : وهل ترفض أن يشاهدك الطبيب فقد بدا على وجهك الاصفرار وأحيطت عيناك بهالة

زرقاء . انني قلقة عليك . سأدعو الطبيب

سليم : لا فان دائي ليس له دواء

هالة : أي سر تخفيه في صدرك ؟

سليم : انه لسر يكاد يقتلني

هالة : يقتلك .

سليم : نعم

هالة : ولماذا يصعب عليك أن تبوح به لمن تعدك كشقيق لها . لماذا هذا السكوت . لماذا هذا الالم الصامت ؟

سليم : اتريدين أن تعرفي سري ؟

هالة : نعم أريد من كل قلبي .

سليم : اذن لن أبوح به أبدا .

هالة : لماذا تروقك مخادعتي ؟

سليم : ذلك لأن عذاب الضمير جعلني أتمنى الموت العاجل ، ومن يدك التي أنقذت حياتي ساعة الخطر . لست مخادعا وانما هنالك أمور يساق اليها الانسان على الرغم منه . وهكذا كنت مسوقا الى الحرب بعامل حب الوطن والوفاء له بالدفاع عنه .

هالة : لم أفهم شيئا مما تقول .

سليم : ان سري مدفون هناك في ساحة القتال حيث يرفرف عليها سكون الموت وحيث لا يسمع فيها الا أزيز الرصاص وأنين الجرحى . ان روحي لاتزال متصلة بأرواح

اولئك الاموات الذين خلفتهم صرعى في كل مكان .

هـــالة : انه لهراء وتضليل ما يزعمون من صلة بين الاحياء والاموات ، ولو صحت هذه الصلة لتراءى لي ذلك الشبح الـــذي انفطرت مرارتي في انتظاره كلما تنفس الصبح أو عسعس الليل . آه . كم بكيت وكم تفطر قلبي على ذلك الاخ الذي لم يعد لي من أمل في لقائه.

ســـليم : لقد سمعتك تروين لي عنه أشياء كثيرة فلما وقعت عيني على صورته منذ برهة تذكرت شيئا ارتعدت له فرائصي فقـــد التقيت بصاحب هذا الوجه في آخر لحظة كنت بها في ساحة القتال . نعم كان مشهرا سيفه وقد اشتبك الجيشان في معركة دامية اقتصر فيها القتال على السلاح الابيض . ان ذلك الضابط الذي تزعمين أنه أخوك هو الذي جرحني في يدي عنـــدما التقيت به وجها لوجه أثناء المعركة . وأنا الذي طعنته في صدره بسيفي تلك الطعنة النجلاء التـــي أودت بحيـــاته ، وليس الذنب ذنبي فيما وقع . نعم كنت أدافع عن نفسي بل كنت أخدم وطني وأمتي . كان الواجب يقضي علي بذلك .

هـــالة : كفى . كفى . لم أعد أطيق الاستماع الى حديثك ، بل اعترافك . يا لهول ماسمعته

منك . لقد تصدع قلبي ولولا أنني مشيت في طريق التضحية منذ البدء لما قويت على احتمال هذه الصدمة الاليمة. انما آليت على نفسي أن أتابعها حتى المدى الاخير

سليم : أريد الماء . اعطني جرعة ماء .

(هالة تهم بتقديم السم الى سليم فتتراجع مذعورة ثم تتقدم مترددة واذا بالصوت يهتف بها)

الصوت : لا . لا . حذار . حذار من ارتكاب جريمة القتل انني أرى الدماء البريئة تقطر من يدك الاثيمة . لا شك أنها يد قايين أول من شن شريعة الغدر . (تتقدم بالسم).

سليم : الماء . الماء . أريد الماء . الماء . أين الماء

(تعطيه الكأس)

الصوت : انك لتجهزين على جريح كان الواجب يقضي بانقاذ حياته . أيطلب الماء الزلال فتعطيه السم الزعاف ؟ أين اذا مبادىء الرحمة والانسانية التي سنها هنري موفان . لقد أفضى اليك بسره لانه شعر بوخز الضمير . أفلا تشعرين أنت أيضا ذلك الشعور النبيل . ان النفس الفاضلة لا تحمل موجدة . النفس الفاضلة لا تحمل حقدا أو حفيظة . انزعي الكأس من يده وحطميه . افعلي ما يقضي به الواجب والضمير ...

على هذا النحو كانت مسرحية المناسبات عند أبي السعود : دخول مباشر وحاسم في الموضوع . وهبوط ، بالحوار الى مستوى الناس العاديين كي يكون مفهوما ، وتجسيد مضخم للفكرة كي تؤدي غايتها بسرعة . ومن الحق القول ان هذا الضرب من المسرحيات لا يمثل فن عبد الوهاب أبي السعود التمثيل الصحيح .. ذلك أنه ـ هذا الضرب من المسرحيات أقصد ـ غير متحرر من ضرورات المناسبة من جهة ، ومكتوب ليؤدي هدفا سريعا من جهة ثانية . ولعل مسرحية المناسبة ذات الصيت القوي هي مسرحية « جمال باشا السفاح » التي مر ذكرها ، وسبب ذلك أن معروف الارناؤوط قد كتبها حوارية أدبية قبل أن يحولها أبو السعود الى عمل مسرحي .

لابي السعود مسرحيات كثيرة من هذا النوع ، منها ما كتبها بنفسه ، ومنها ما كتبت وأخرجها ومثل فيها ، وهي أكثر من أن نستطيع حصرها .

أما المسرحيات المترجمة فما أكثر ما قدمها على المسرح . ان تاريخه المسرحي ، باستثناء مسرحيات المناسبات ، يكاد يكون تاريخ تقديم مسرحيات معربة ، او مقتبسة او ، اسلامية . وهذا يرجع الى أيامه الاولى في عالم المسرح .. عندما كان في مصر ، فلقد شهدت عيناه جورج أبيض وهو يمثل مسرحيات كبيرة مترجمة كعطيل لشكسبير أو مدرسة الازواج لموليير أو لويس الحادي عشر التي اشتهر جورج أبيض بتمثيل دور البطولة فيها ، وغيرها .. فلما عاد الى الشام ، وتمكن له أن

يقدم انتاجا مسرحيا سارع الى هذه المسرحيات نفسها التي شاهدها في مصر فقدمها في أوقات مختلفة ، مبتدئا بمسرحية سماها « عاقبة الخداع » اقتبسها عن مسرحية اجنبية ٠

ولقد شهدت له دمشق « هملت » و « عطيل » و « لويس السادس عشر » وصفقت له أيما تصفيق لبراعته في هذه الادوار الصعبة التي تتطلب حذقا وتمكنا ، وخاصة دور البطولة في المسرحية الاخيرة ، وهو نفس الدور الذي برع فيه استاذه جورج أبيض ٠ ولقد اتهم هو الآخر كما اتهم ذاك بأنه لا يجيد التمثيل الا في الادوار الثلاثة ، أدوار هملت وعطيل ولويس الحادي عشر ٠ ولكن هذا الاتهام ، وان كان يدل على براعة أبي السعود في ادائه لهذه الادوار ، غير صحيح[1] ٠

ومن مسرحياته المترجمة غير التي ذكرنا : مسرحيات « هرناني » و « السيد » لكورني و « البخيل » لموليير و « الشرف الياباني » التي جعل لها بعد أن عربها اسم « القسم » ، و « عواطف البنين » ، وغيرها ٠

والمسرحية الاخيرة من روايات الكوميدي فرانسيز التي جاء بها من فرنسا ، وقد قدمها على مسرح مدرسة اللاييك في السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٣٨ وهي مأساة من خمسة فصول « كتبها الكاتبان

---

(١) من الجدير بالذكر أن جورج أبيض قد اتهم بأنه لا يجيد التمثيل الا في الادوار الثلاثة التي تعلمها من استاذه سيلفان ٠



عبد الوهاب في احد أدواره « هملت »

الفرنسيان نانري وتاربي [1] » • والدخول اليها موزع بين الرجال والنساء • ففي الساعة الواحدة بعد الظهر حفلة خاصة بالنساء ، أما حفلة الرجال فتبدأ في الثامنة والنصف مساء !

وخلاصة المسرحية [2] أنه عاد الاميرال من رحلة بعد غياب طويل فوجد امرأته حزينة كئيبة فلم يتمكن من معرفة السر ، وكان اذ ذاك الكونت دي موراي زوج الكونتس ابنة الاميرال في بونديشيري وانتشر هناك مرض الحمى الذي أصاب ابنته بوليت فاضطر مرغما مع زوجته ن يغادر تلك البلدة ويعود الى باريز تاركا وحيدته عند عمتها للاعتناء بها مدة مرضها ، وتعرف اثناء عودته على شاب انتحل اسم بالميري ومعه رقاصة ايتالية يقول انها اخته منتحلة اسم الدوق دي سان لوقا ، وكان هذا الشاب موظفا في الوزارة الخارجية الايطالية فاطلع على اوراق مثري عظيم يدعى جان بالميري مات تاركا عشرين مليونا ، وله وريثان في الهند ، ولدى التحقيق علم ان الوريثين ماتا قبل عمهما • فسولت له نفسه الاستيلاء على هـذا الارث العظيم فتوفق بدهائه متفقا مـع تلك الراقصة ••••• وتوثقت اثناء الطريق بين الجميع عرى المودة فنزل بالميري واخته ضيفان (!) في دار

(١) اعتمدنا على كراس وجدناه بين أوراق المرحوم أبي السعود ، في عرض هذه المسرحية •

(٢) هذه الخلاصة موجودة في الكراس الذي يقدم للمسرحية ، وقد اثبتناها كما وجدناها •• باخطائها ، وبنهايتها المبتورة •

الكونت ولاتمام حيلته أراد أن يصاهر الكونت وأخذ يترقب الفرصة لذلك ، ثم اتهم الكونتس أنها تخون زوجها اذ رآها تساوم شابا ظنه عشيقها على مبلغ مئة ألف فرنك لتسترد منه الرسائل الغرامية (أما الشاب فلم يكن الا أخوها (!) وهو ابن امها غير الشرعي ٠) وهنا نمسك القلم عما يجري في القصر من الحوادث المؤلمة ٠٠٠٠٠٠ وأخذ بالميري بدوره يسعى لزواج الكونت من اخته وتم له ذلك ثم حاول الزواج بنفسه من ابنة الكونت التي شفيت من مرضها وجاءت الى دار أبيها ورأت كل شيء قد تغير ٠ وكان يصحبها في سفرها السير ايلي دراك قنصل ايطاليا السابق في الهند الذي توفق أخيرا في مداخلاته الى اكتشاف مؤامرة بالميري واخته ٠ ولكن كيف ؟ وماذا حصل بعد ذلك ؟ هذا ما سترون حوادثه المتسلسلة وتشاهدونها على المسرح ٠ »

ومن هذه الخلاصة المبتورة للمسرحية المثبتة في كراس ، يبدو أنه كان يوزع مسبقا كدعاية للمسرحية ، يمكن فهم روح المسرحيات المترجمة التي قدمها أبو السعود أو اشترك فيها في مرحلة عودته من باريس ، ففي حين قدم في أواخر الربع الاول من هذا القرن مسرحيات كلاسيكية ، قدم في الربع الثاني منه مسرحيات مترجمة جديدة تعتمد على الاثارة ، فعواطف البنين « رواية خالدة ، موضوع جذاب ، تمثيل يثير الاعجاب ، اخراج رائع ، ذات مفاجآت متسلسلة خلابة ، وهي رواية التضحية والاخلاص والتفاني بالوفاء ، كلها عواطف وكلها رقة ، تجعل المشاهد يسبح في عالم الجلال

والجمال والعطف الوالدي والحنان ، وهي تربية للامهات ودرس للبنين والبنات ومواعظ للازواج وعبر للآباء[1] » والهدف من تقديمها وتقديم مثيلاتها رعاية الفن المسرحي وجعله جماهيريا .

وهـذا الضرب من المسرحيات يحتاج الى اشتراك عنصر نسائي ، الامـر الذي كان يسبب حرجـا دائما بسبب عدم اقبال السيدات على الاشتراك في العمـل المسرحي ، كما هي عليه الحال الآن ، وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة أول الامر بأن راح الشبان ذوو الملاحة والنضارة يقومون بأداء الادوار النسائية [2] ، ثم تطور الامـر فاقبلت مغامرات على القيـام بالتمثيل باسـماء مستعارة أو بالاكتفـاء بذكـر الحـروف الاولى مـن اسمائهن [3] .

وهذه المسرحيات المترجمة أهداف بحد ذاتها ، كان أبو السعود يبتغي من تقديمها تعريف الجمهور عـلى المسرح من جهة ، والترفيه عنه من جهة ثانية . « وكانت مسرحيات شكسبير افضلها عنده ، ولعل مسرحية هملت أحبها الى نفسه . ويلاحظ في هذا النوع أنه كان يؤثر

---

(١) عن الكراس المذكور .

(٢) كانت ثمة عام ١٩٣٠ ممثلة واحدة هي السيدة فيكتوريا حبيقة التي ذهبت الى مصر وأصبحت في عداد ممثلاتها الشهيرات بعد ذلك .

(٣) في مسرحية عواطف البنين أن ن تقوم بدور الاميرالة وج تقوم بدورالكونتس وم بدور بوليت وهـ بدورالدوقة ، وقديكون هؤلاء رجالا .

الجدي القوي منه ، ولقد أعانه على التأثير فيه انه كان يتمثل الدور الذي يضطلع به ، وان في صوته من القوة والجهارة ما تقتضيه مواقف الشدة والحزم ، ولقد تبين الناس هذه المزايا يوم قام بدور هملت المشهور وحينما مثل دور « رودريك » في مسرحيــة كورني المشهورة المعروفة باسم السيد [1] • »

ونأتي الى النوع الثالث مــن مسرحياته وهو : المسرحيات التاريخية ، المقتبســـة من التاريخ العربي والاسلامي • وهو النوع الذي آثره واعتنى به ورعاه ، وقدمه على الرغم من تحذيره بأنه لا يكتب له النجاح ، « ولعل انصراف الفقيد الى هذا النوع كان اشد لوثيق اتصاله بنفسه ، ولان المبادىء التي تغلغلت في صميمه كانت تدفعه الى الكشف عن الفضائل العربية الاسلامية لتكون المثال الرائع الذي يجب أن يلتزمه الناس ، فهو في هذا الضرب من التمثيل رجل قومية واخلاق ، يؤدي رسالته التي يؤمن بها مخلصا لها كل الاخلاص عــن طريق التأليف والتمثيل والاخراج والاقتباس من غيره احيانا ، ولقد كان يهتم في هذه المؤلفات ببعض العقــد الفنية والحلول والمفاجآت ، ولكن تصوير البيئة والاعتماد على سرد حوادث التاريخ كان أكثر وأوفر ، وقديما عمد كبار المسرحيين الى استلهام التاريخ الغابر والاستعانة بروائع السابقين من قصص وأفكار وطرائف ، فما يضير فقيدنا أن يعمد الى اشباه ذلك ، وكان يضفي على القصة

---

(١) عن الدكتور جميل سلطان •

المنتزعة او الاستعارات الغابرة ثوبا من الخيال المبدع ، يجمل به المسرحية على ما يقتضيه الفن شبيه بما فعل في مسرحية وامعتصماه ، وعندنا أن الفقيد اذا كان في المسرحيات المترجمة ممثلا ومخرجا بارعا ، فقد كان في القسم الثاني العربي والاسلامي مؤرخا صادقا واستاذا موجها ، وداعية نصوحا من دعاة القومية والاخلاق [1] • »

ومسرحياته التاريخية ، ما ألفه هو وماقدمه لغيره ، كثيرة جدا ، وأبرز هذه المسرحيات « وامعتصماه » أو « فتح عمورية » ، وقد أعاد تمثيلها عشرات المرات ، و « ميلاد محمد » ، والمسرحيتان مطبوعتان[2] ، والاولى تمثل عملا مسرحيا متكاملا ، وهي من أجود المسرحيات التي ألفها •

وهذا هو نص المشهد الثامن من الفصل الاول من مسرحية « وامعتصماه » ، وفيه يأتي خبر تلك الفتاة العربية الاسيرة التي استجارت بالمعتصم

الرجل : قطعت يا مولاي ألوف الاميال حتى وصلت الى هنا • قطعتها سيرا على قدمي حتى انهكني الجوع والعطش فوصلت بهذه

---

(١) المصدر السابق •

(٢) من منشورات دار اليقظة العربية ، وفي المسرحيتين مقدمتان بقلم الشاعر المرحوم زهير ميرزا •

العظمة التي تراني بها ٠ ان ظاهري في الواقع لا يدل على حقيقتي فأنا عربي من بني هاشم أسرني الروم مع من أسروا يوم دخولهم ملطيه ، فاقمت في عمورية أعمل كصقيلي في خدمة أحد قواد الروم ٠ وكان هذا القائد قد أسر فتاة عربية من بني قومي وعشيرتي ٠ فكنت من حين وآخر أسمع من خلال ضرب المطرقة صياحها واستغاثتها فتسلقت مرة النافذة فرأيت ٠٠٠ يا لهول ذلك المنظر ٠٠ رأيته وقد لف شعرها على يده وأخذ يجلدها بالثانية جلدا مبرحا والدم يسيل على وجهها فلما لم تعد تطيق احتمال جور هذا الوحش صاحت باعلى صوتها : وامعتصماه ! وامعتصماه !

(يقف المعتصم فيقف الجميع ، ويدخل خادم يحمل صفيحة عليها كؤوس يتقدم من الخليفة)

الرجل « متابعا » : فقال لها متهكما : ليأتيك على حصان أبلق ٠ فاقسمت أن أفر من عمورية ولو كان دون ذلك هلاكي و ٠٠٠

الخليفة « مقاطعا يتناول كاسا » : كفى ٠ كفى ٠ أشعر ان سهاما من نار تهاوت على قلبي ٠٠ أجدني

الان شعلة من نار حامية ٠ كل شيء يتراءى لي أحمر ملتهبا ٠ ورأس أبي الرشيد الذي انزل ملك الروم عن عرشه واقصاه عن ملكه وتاجه لن احتسي هذا الكاس حتى أرد كيد الروم الى نحرهم ٠٠ ليعلم ملوك الارض ان ملوك العرب لا يعجزون عن شيء ٠٠ لتكن كل جياد الجيش بلقا ٠٠ لبيك ٠٠٠ لبيك يا مليحة (يرجع الكأس) ان المعتصم بخيله ورجله يزحف لنجدتك ٠ ايها العربي النبيل لقد اعطيت امثولة في البطولة والشجاعة وجعلتني أخجل من أن أكون دونك اباء وهمة (يصافحه فيقبل يده) ٠ لن احتمل وصمة التاريخ وعار المستقبل ٠٠ ايها الرجال استعدوا لخوض غمار الحرب ٠٠

وليس ثمة سبيل الى تعداد مسرحياته التاريخية بكاملها فهي كما قلنا كثيرة ، منها « خولة بنت الأزور » التي مثلت للمرة الاولى في مدرسة دوحة الادب ، و « تتويج فيصل » التي ظهرت مع « وامعتصماه » في كتاب واحد ، و « جابر عثرات الكرام » التي عالج فيها الروح العربية الاصيلة ، « وقد جرت حوادثها في

العصر الأموي على عهد سليمان بن عبد الملك ، وأبطال الحارثة عكرمه الفياض بن ربعي وخزعية بن بشر [1] ».

ويستدل على عنايته بالتاريخ واستهادفه تقديم التاريخ العربي بشكل مسرحيات اللمحة التي قدم بها لتمثيلية « الزباء ملكة تدمر » التي اعدها للاذاعة في وقت متاخر من حياته ففيها يقول [2] : « لقد يتبادر الى بعض الاذهان ان زنوبيا ملكة تدمر التي ذكر مؤرخو أوروبا قصتها في سياق تاريخ دولة الروم هي الزباء نفسها ، ولكن الزباء غير زنوبيا لان قصتها تعاصر عمرو بن عدي أمير الحيرة الذي مات في أوائل حكم سابور بعد أن بلغ المائة من السنين ، أما زنوبيا فقد كانت ملكة في أواخر حكم سابور وبينها وبين الزباء ما يقرب من نصف قرن . وكان أمير الحيرة على عهدها امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، فالزباء اذاً ملكة الجزيرة في أوائل نشأتها ، وقد روى قصتها الطبري وغيره ، وذكرتها كتب الادب في امثال العرب » .

أما المسرحيات الشعبية التي قدمها عبد الوهاب

---

(١) عن اسعد جباصيني

(٢) من اوراق ومخطوطات الفقيد .

أبو السعود فكلها من ذوات الفصل الواحد ، وهي ، في الأغلب ، ترفيهية ، تعتمد على الاضحاك وادخال السرور على النفوس ، وغالبا ما كانت تقدم بين فصول المسرحية الرئيسية الموجهة ، وهي كثيرة جدا ، ولا سبيل الى حصرها ٠٠ وهذا النوع من اعمال عبد الوهاب ابي السعود « عمل في سبيله وأبدع فيه تاليفا واخراجا ، وتمثيلا أول الامر ، ثم اكتفى بالتاليف والاخراج فصور الاوضاع الشعبية والالوان المحلية ، وابرزها على المسرح ملء العيون والقلوب ، اعجابا وامتاعا ، وما كان كل قصده منها أن تفتر الشفاه طربا ، وتنبسط الاسارير حبورا وانما كان يريد فوق ذلك الاصلاح والتوجيه ، ولطالما صنع المؤلفون مثل ما صنع : صوروا المكروه على أبشع صورة ، وابرزوا مساوئه مضحكة مهلهلة فكان الناس يضحكون ويغرقون ، ولكنهم كانوا يستمعون من وراء ذلك الى صوت المصلح المتحمس ، ورأي المنتقد الموجه ، كما فعل في مسرحياته دمشق على المسرح ، وعنترة وفتى العصر ، والقنبلة الذرية والحلاق الثرثار والشياطين [١] » ٠

ففي « روايته العظيمة عنترة وفتى العصر صور فتى من فتيان هذا العصر المتحذلقين الذين يريدون نسيان كل شيء عن الماضي ٠ وبأسلوبه الساخر الفكه جعل هذا الفتى يسخر من عنترة العبسي ، من شعره ومن شجاعته ، وينام هذا الفتى فيرى عنترة في منامه يخرج اليه بسيفه ورمحه وهيئته المرعبة وبصحبته

---

(١) عن الدكتور جميل سلطان

عمرو بن كلثوم ، ويجـري حوار طريف بين الثلاثـة ينتهي بتسليم الفتى بما يراه عنترة حتى اذا أفاق من نومه كان الرعب لا يزال مسيطرا عليه ولكنه كان قد اقتنع تماما بوجهة نظر عنترة ويعود لاحترام القديم واعزازه (١) • »

وهذا مقطع صغير من المسرحية :

فتى العصر (مذعورا) : من أنت • ألعلك من رجال العصور الخوالي • اتراك من بقايا القرون الاولى •

عنترة : أنا ذلك العبد الذي لم تعرف من حقيقة أمره شيئا • انا عنترة بن شداد • أنا فارس الفرسان • أنا سيد الابطال•

فتى العصر : عفوا يا عنتر افندي عفوا •

عنترة : جرد سلاحك فاني اطلبـــك للمبارزة ايها المغرور •

فتى العصر : يا ســيدي عنتر بك ••• أنا ••• أنا •••

عنترة : انني أراك ترتجف •استعمل سلاحك • اضرب اذا كنت تستطيع الضرب ايها الجبان• ها أنذا امامك • وهذا عمرو بن كلثوم التغلبي ،

---

(١) عن اسعد جباصيني

ومع أن عبد الوهاب ابا السعود لم يحب الكتابة بالعامية ، فقد حاول فيها ، ورأيه في فن الكتابة المسرحية رأي صائب وسديد فقد قال [١] : « ان فن القصة المسرحية في بلادنا لم يزل في مهده ولذلك فلا بد وان يسير في بدء حياته ببطء وتؤدة ويحتاج في مثل هذا الحال ولا شك الى تشجيع وعطف كبير من الشعب والحكومة معا الى ان يشتد ساعده · وما دمنا في دور انشائي فلا بد من وقوعنا في هفوات كثيرة يغتفرها لنا حداثة عهدنا بممارسة هذا النوع من أنواع الفنون الذي يعد ركنا من اركان الحضارة وعاملا من عوامل الوعي القومي · وان الخوض في موضوع ما من مواضيع الحياة وعرضه على أنظار الناس ضمن قصة او تمثيلية يحتاج الى دراسة عميقة للحياة ، تلك الحياة التي يستمد المؤلف منها المواد الاولية ، والكلام أو ما يسمونه الحوار يحتاج الى كثير من اللباقة والذوق ، لذلك تكون مهمة الكاتب شاقة جدا لأن التوفيق بين تسلسل الحوادث واظهار القصة بوقت ومكان معين من أصعب الامور ، وأرجو أن أكون قد أصبت بعض التوفيق في ذلك ·· »

تلك هي ملامح خاطفة من أعمال عبد الوهاب أبي السعود في ميدان المسرح ، عرضنا منها خطوطها العريضة البارزة ·· وهدفنا أن نجلو ما كان عبد الوهاب أبو السعود يرمي اليه باقباله على المسرح ،

---

(١) من أوراقه ، وقد صدر بها مسرحية لم يكتب عنوانها ·



عبد الوهاب في دورين متناقضين : دور الغني ودور الشحاذ

فهو يؤمن بالمسرح أداة توجيه وترفيه معا ، ويعتقد أن المسرح مدرسة تؤدى بواسطتها اعقد القضايا الاخلاقية والقومية في اطار محبب غير ممل · وغني عن البيان ان عبد الوهاب ابا السعود قد كون مدرسة خاصة به ، ان من ناحية الالقاء او من ناحية الاخراج ، او من ناحية ادارة الحركة على المسرح اثناء التمثيل ·

ان عبد الوهاب أبا السعود معروف بالقائــه الواضح الذي يعتمد فيه على الضغط على الكلمة بل على الحرف ضغطا يناسب المعنى المــراد جلاءه للجمهور ، ولهذا فانه ابدى مقدرة فائقــة في تمثيل أدوار القوة والمشاعر الانفعاليــة ، حتى التصقت أدوار بعينهــا بشخصه ، ولقد لقن طريقته في الاداء الى عدد مــن الممثلين الذين رافقوه في أواخر حياته خاصة ، وأخذوا عنه الضغط على الكلمة ·· ومن ناحية اخرى ابــدى مقدرة مماثلة في التعبير بوجهــه وبيديه ، ومــا زال الجمهور الذي عاصر مسرحــه يذكر تعبيرات وجهه وحركته على المسرح ، فاذا أدى ممثل معاصر حركة ما ·· مقلدا أبا السعود اكتشف الجمهور انه احد تلامذته أو المتاثرين به ·

أما من ناحية الاخراج فكان واعيــا كل الوعي لطبيعة المسرح الموجود في بلدنا · ان مسرحنا فقــير بالوسائل المادية التي شاعت وأصبحت ضرورة لازمة لكل مسرحية ، وهو بهذا الوعي ، يتكيف بالمسرحيــة التي بين يديه على ضوء الامكانيات الموجودة ، يصنع

من الحبة قبة ومن لا شيء شيئا ، وعلى الاساس الذي شارك في اقامته نمت نبتة صغيرة اســـمها المسرح في بلدنا ، وحان الوقت لقطف ثمارها ٠

واذا كان دور عبد الوهاب أبي السعود ، في ميدان المسرح ٠ عمله على رفع نظـــرة الاستخفاف ، وحتى الازدراء ، التي كان المسرح يقابل بها من المجتمع ٠٠ فاكرم به من دور ٠ « انه من غير الممكن ان يطفر العالم العربي الحديث في قفزة واحدة الى ما انتهى اليه التمثيل الجدي عند الغربيين بعد قرون طويلـــة من التطور في ممارسة ذلك الفن وتثبيت أصولـه وتقاليده (١) » ، والرواد الذين سبقوا ، وفيهم عبد الوهاب أبو السعود، قد أدوا دورهم بأمانة ٠

« واذا كان المسرح قد أخذ مجتمعنا العربي يعترف به أخيرا وينظر اليه نظرا جديا ساعد على ربطه بتراثنا الادبي فان هذا الفن الذي يحتل مكانا رفيعا في الدول المتقدمة فانه لا يزال يلقى في عالمنا العربي عدة عقبات وصعوبات منه اما يتعلق بعدم توفر عدد كاف من دور المسرح في عواصمنا ومدننا فضلا عن قرانا (٢) ٠ » وهذه الصعوبات كان عبد الوهاب أبو السعود يشعر بهـا ويؤمن بأنها تاتي في المقدمة من حيث أهميتها ، لـــذلك كان مطلبه الاول ان تقوم دور للمسرح في مدن سورية ٠

---

(١) عن كتاب « المسرح » للدكتور محمد مندور

(٢) نفس المصدر



صورة واحدة تجمع عبد الوهاب في مواقف تمثيلية متعددة

ولعل من التكريم لذكرى هذا الرائد ان تبـدأ المسارح في الظهور ، وان تعم نهضـــة مسرحية نلمس آثارها فيما نشهده من مسرحيات جادة أو هازلة تمثل على المسارح المختلفة ٠

في الرسم ...

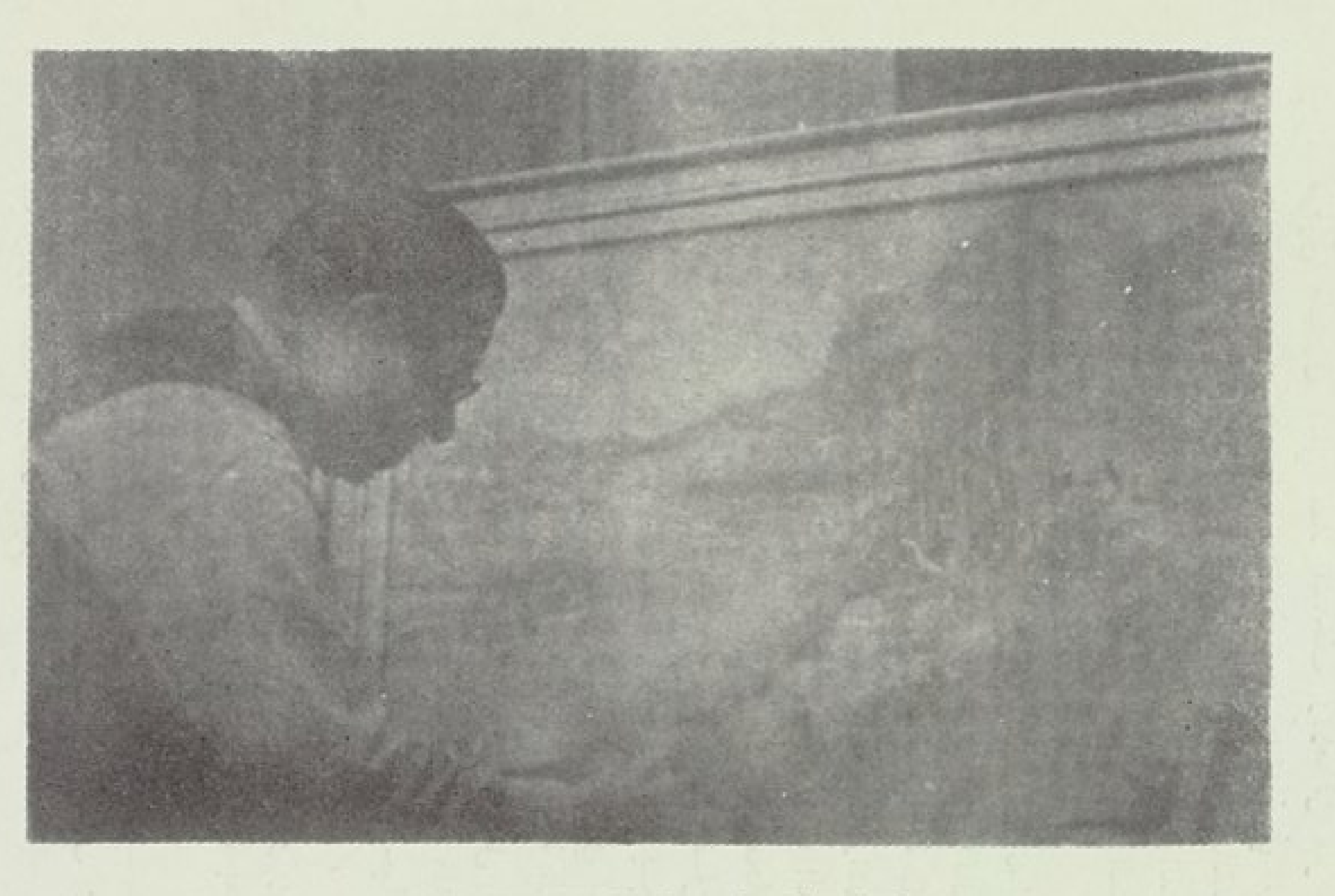
« أذكر ، رغما عن بعد الشقة الزمنية ٠٠ خطوطه القوية ومراعاته التعبير حتى في رسوم حيواناته ٠ كان يحاول أن يضع في وجوه الحيوانات التي رسمها طابعا من الاسى الانساني »

فاتح المدرس

بقي عبد الوهاب أبو السعود يرسم حتى آخر يوم من حياته ، لم ينقطع عن الرسم او التفكير في الرسم يوما واحدا ، ومنذ مجيئه الى دمشق مع أسرته وحتى وفاته وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن ٠٠ كان له انتاج غني في الزخرفة والحفر على الخشب والرسم بالالوان الزيتية والمائية وبالحبر الصيني وبالفحم ، وفي

الفسيفساء وفي القاشاني ، ويمكن القول ، بصفة عامة ، انه فنان منتج من جهة ، وفنان رائد من جهة ثانية ، فهو فنان منتج لان اعماله الكثيرة تشهد على ذلك ، وهو فنان رائد لانه كان من اوائل الفنانين الذين عملوا في ميدان الرسم في سورية .

« ولم تكن المرحلة العصيبة التي مرت بها سورية خلال تاريخها الاخير تسمح لاصحاب المواهب الطيبة في في الفن أو في باقي النواحي الابداعية بالظهور أو بالعمل ، فقد كانت السيطرة التركية العثمانية ثم أعقبها الاحتلال الفرنسي مما دفع الشعب وخاصة المثقفين الى الكفاح والثورة المستمرة ، وعندما حققوا لبلادهم الحرية المطلقة والسيادة الكريمة واطمأنوا الى ذلك عادوا يتفرغون للعمل والبناء ، وهم الشعب العريق الذي غذى أكثر الحضارات العالمية بفكره وفنه ، على هذا لم تظهر الحركة الفنية في سورية بمظهرها النامي الا منذ أن تفتحت البلاد على نور الحرية واستطاعت المواهب العالية أن تجد لها متنفسا ومؤيدا ومخلصا ، فرأينا الفنانين يظهرون فرادى في مناسبات نادرة ومعهم آثارهم القليلة ويعرضونها على الناس والمسؤولين لتكون برهانا جديدا على امكانيات عظيمة دفنها المستعمر وكبتها زمنا طويلا ، على اننا اذا رجعنا الى بداية هذا القرن وتعقبنا آثار بعض الفنانين الذين أتاحت لهم ظروفهم بممارسة هوايتهم في التصوير لوجدنا على رأس هؤلاء الفنان الكبير توفيق طارق ، وعلي رضا معين ، ومنيب النقشبندي ، وجميل الكواكبي . وما زالت لوحات



عبد الوهاب اثناء العمل بلوحة « نبع بردى » .

توفيق طارق التي تملأ المتاحف والاماكن الرسمية والبيوتات الكبيرة شاهدة على قوة هذا الفنان في الرسم الكلاسيكي الواقعي حتى قرنه بعض النقاد بالفنانين دولاكروا وجيريكو · وفي عام ١٩٣٠ لم يكن من الفنانين المعروفين غير ميشيل كرشه وعبد الوهاب أبو السعود وسعيد تحسين[1] · »

لم يعرف عن عبد الوهاب أبي السعود أنه تلقى في مطلع حياته دروسا في الرسم ، أو دخل اكاديمية ما وتخرج منها رساما ، كما هي الحال بالنسبة للرائد الاول توفيق طارق ، ان هي الا موهبة متفجرة أرادت أن تبدع · ومع أن هذه الموهبة لم تظهر قبل نهاية الحرب العالمية الاولى بشكل عملي ·· فان لابي السعود محاولات عديدة في فن الرسم ، لم تحفظ وضاعت فيما ضاع من أشيائه وأعماله ، ومن الثابت أن رحلتيه الى بيروت أولا ثم الى القاهرة ثانيا قد هيأتاه لمعاناة فنية في ميدان الرسم ، ففي الرحلة الاولى اطلاع ، وفي الرحلة الثانية انتاج ·· ولقد ساعد عبد الوهاب أن التمثيل الذي عشقه في مصر وأقبل عليه ·· يتطلب مناظر وديكورات مرسومة ·· والى هذه الحقبة من حياته ، على قصرها ، يرجع الالمام العملي بفن الرسم ، فلقد أمسك هناك بالريشة لاول مرة في حياته وهو يشعر بمسؤوليته ·· لان ما سيرسمه ·· سيشهده بعد أيام جميع حضور المسرحية ·

---

(١) عن كتاب « الفنون التشكيلية في سورية » لعفيف البهنسي طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي ·

على أن العمل الجدي والمنظم لانتاج لوحات فنية بالشكل المتعارف عليه ، لم يبدأ الا في دمشق ، ولم ينشط الا بعد تعيينه مدرسا في مدارسها ، ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاته صور عشرات اللوحات ، وكان يضع تاريخ رسمه لكل لوحة .. عليها ، ومن اللوحات الباقية ما يمت الى تلك الفترة الاولى ، ومنهـــا ما يمت الى تاريخ قريب من تاريخ وفاته ، ومنها ، ثالثا ، ما ظل مشاريع لوحات في رأسه ، فقد « رحل قبل أن يبدأها[1] » .

وعلى الرغم من أن أحدا لم يكتب بحثا جديا كاملا عن فن عبد الوهاب أبي السعود التشكيلي فان أحدا لم يختلف على أنه فنان مدرسي [2] ، والمميزة الرئيسية في جميع انتـــاجه ، باستثناء ما انتجه في ميـــدان الزخارف ، هي الاهتمام بالتفاصيل اهتماما كليا .. مقتديا في ذلك بالفنان توفيق طارق أولا ، وفي روح الفن السائد وقتئذ ثانيا ، وقد ظلت هذه المميزة .. تلازمه طوال حياته في الفن التشكيلي ، حتى بعد عودته من فرنسا « وانتسابه الى اكاديمية الفنون الجميلة « اكاديمي جوليان » عدة اشهر ، وتتلمذه على يد الفنان الفرنسي إدو شوفياك [3] . » ، بل يمكن القول أن ما أحدثته

---

(١) عن « عصا الجنة »

(٢) المدرسية لها معنيان : ١ الانتساب الى مدرسة فنية معينة . ٢ ـ الرسم حسب قواعد ثابتة ومعينة . وأبو السعود فنان مـــن النوع الثاني .

(٣) عن أرشيف الفنـــانين في مديرية الفنون بوزارة الثقـــافة والارشاد القومي .

رحلة فرنسا في فن عبد الوهاب هو اطلاعه على الاصول الفنية والاكاديمية التي لم يكن ليلتفت اليها في السابق ، أو يعرفها ٠

تقسم أعمال عبد الوهاب أبي السعود ، في الرسم ، بحسب موضوعاتها الى عدة أنواع :

١ ـ الاعمال ذات الصفة التاريخية ٠
٢ ـ الاعمال ذات الصفة الشعبية ٠
٣ ـ الاعمال الزخرفية ٠
٤ ـ أعمال مختلفة أخرى ٠

وجميع هذه الاعمال ، في شمولها ، تلتقي عند نقطة واحدة هي امتزاجها بحياة الفنان الشخصية امتزاجا واضحا ، فالاعمال التاريخية وليدة اهتمامه الكبير بالتاريخ ٠ وخاصة الاسلامي منه ، والاعمال الشعبية نتجت عن احتكاكه اليومي بطبقات الشعب الكادحةوالفقيرة ، والاعمال الزخرفية كانت ردة مناسبة الى التراث العربي بعد فترة من الحكم التركي الذي كان يهدف الى طمس معالم الحضارة العربية ، وعلى هذا ٠٠ فعبد الوهاب أبو السعود كان متجاوبا كل التجاوب مع مرحلته ، وفيا لها ٠٠ بل وكان رائدا لمجموعة من الفنانين الذين جاءوا بعده ٠

وبهذه الاعمال خاض معركة مماثلة للمعركة التي خاضها توفيق طارق في تثبيت أقدام هذا الفن الذي لم يكن معروفا على نطاق شعبي ، فاشترك في المعارض التي شهدتها البلاد منذ عام ١٩٣٠(١) ، وأقام معارض

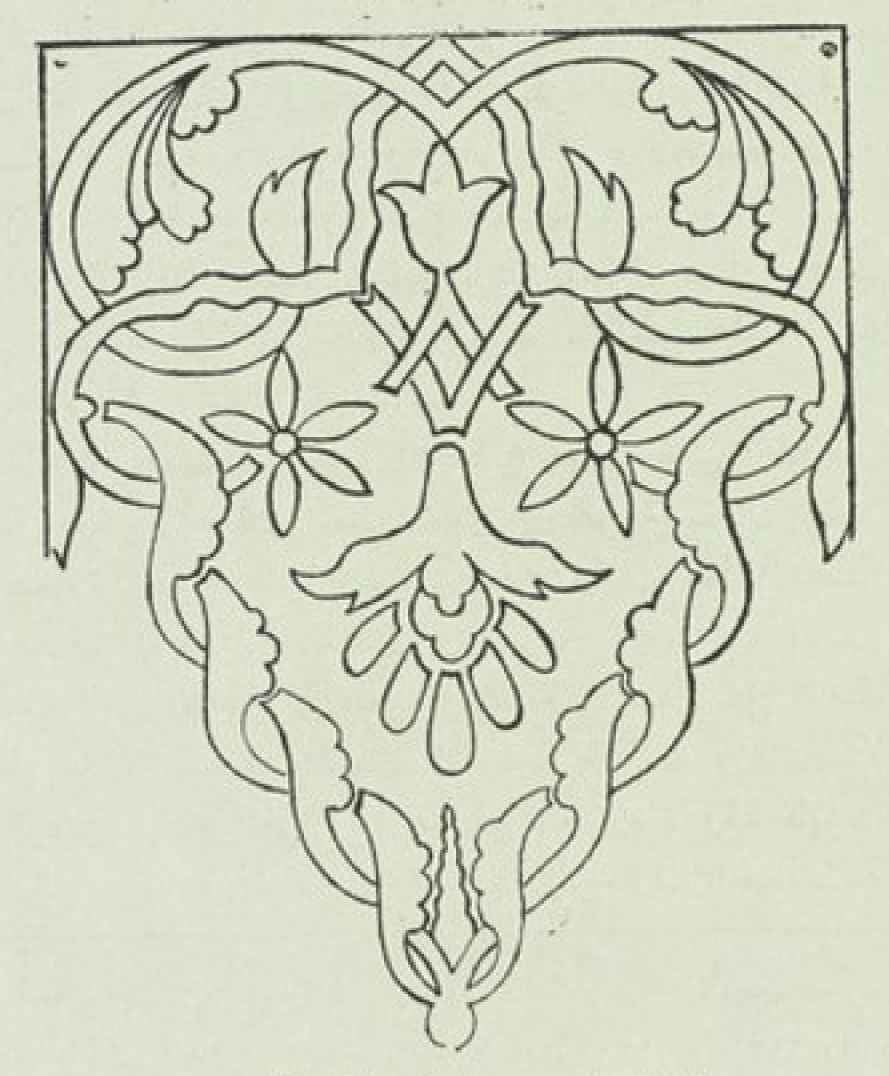
(١) من الصعوبة بمكان تتبع كافة المعارض التي أقامها أو اشترك =

خاصة بانتاجه وحده ، وباع لوحات جمة ، ودرس الرسم في المدارس ، واشترك في وضع مناهج الرسم لوزارة المعارف ، وبفضله عاد للزخارف العربية ، بجميع أنواعها ، بهاؤها وازدهارها ، والاهتمام بها . وعلى يديه تخرج فنانون ذاع صيتهم فيما بعد .

ولو أننا أحببنا التحدث عن أعمال عبد الوهاب أبي السعود من حيث تدرج أهميتها ، لوجب علينا البدء بالحديث عن أعماله الزخرفية .

لقد حدث ما يشبه الانقطاع بين الماضي والحاضر فيما يخص التراث الفني الذي ازدهر خلال تطور الحضارة العربية والاسلامية .. وكان مما ازدهر الزخارف المتعددة الاشكال والمتباينة الاساليب التي طبعت الفن التشكيلي العربي بطابع الاعتماد على الخط وتطويعه لاستنباط اشكال زخرفية صالحة للاستخدام في تزيين فن اسلامي آخر هو فن العمارة ، وقد ظهرت مدارس متعددة للزخارف فعرفت الزخارف العباسية

= فيها ، غير أن من الضرورة ذكر المعرضين الكبيرين ، الشبيهين بمعرض دمشق الدولي الحالي ، اللذين أقيما في عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٦ وافرد في كل منهما جناح خاص بالرسم ، فقد اشترك فيهما أبو السعود ، كما انه اشترك في معارض أقيمت في اللاييك وفي الجامعة السورية وفي المدارس الثانوية .. في الاعوام التي تلت عام ١٩٣٦ ، حتى أن ثانوية « جودت الهاشمي » تحتفظ حاليا بما يزيد عن عشر لوحات من لوحاته التي اشترك فيها بمعارض أقيمت فيها ، كما أن متحف دمشق وقصر العظم يحتفظان بلوحتين ، ومن الضروري أيضا التنبيه الى أن المعارض الدورية لم تكن قد عرفتها دمشق والمدن السورية وقتئذ .



زخارف له موجودة في دفاتر الرسم

والفاطمية والاندلسية وسواها ، ثم ران على البلاد الاسلامية الجمود بسبب قيام حكم الولايات ، وأدى ذلك الى تقلص الانتاج الفني وضموره ثم الى توقفه ونسيان هذا التراث الهائل الاهمية وجاء وقت بدأت فيه المحاولات الجدية لطمسه مع ما أريد طمسه من معالم الحضارة العربية ، أيام الاستعمار التركي

خاصة ، وكانت يقظة العرب وثورتهم في مطلع القرن العشرين ٠٠ وقد قامت معها التفاتة نحو الماضي ، آدابه وفلسفته وفنونه ، تبغي وصل ما انقطع ٠

وكان من حسن حظ الفن في سورية أنه تهيأ له رجل دؤوب ، كعبد الوهاب أبي السعود ، متحمس ما ان لحظ هذه الزخارف العربية حتى فتن بها ، وحتى سعى اليها يبحث عنها في المساجد ومدافن الخلفاء والزهاد[1] ، والقصور القديمة ، وينقلها احياء منه لها ثم يطورها أو يبسطها حسب ما تقتضيه روح العصر الحديث ، ومن الممكن القول ان هذه الردة الى الزخارف العربية بجميع أشكالها ٠٠ قد حمل لواءها ونجح في ذلك ٠٠ اذ انه عندما عهد اليه ، مع آخرين ، أن يضع منهاجا لمادة الرسم في وزارة المعارف دافع بحماسة عن هذه الزخارف حتى قرر تدريسها في المدارس ، وتبنى هو شخصيا المشروع ، فطبع كراريس للرسم وفيها عدد من الزخارف العربية التي نقلها وكبرها بنفسه ، كي يراها التلامذة ويرسموا على غرارها ٠

على أن الاهمية القصوى في حمله لواء هذا اللون من الانتاج الفني ٠٠ لا تقف عند حدود وصل ما انقطع فحسب ، وانما تتجاوز ذلك الى تنبيهه الى ما في تراثنا الفني من كنوز ، فلقد كان يعتقد ان قطعة فسيفساء صغيرة لا تزيد مساحتها عن سانتيمتر مربع واحد تحمل من الالوان والاشكال ما يعجز أبرع الفنانين

---

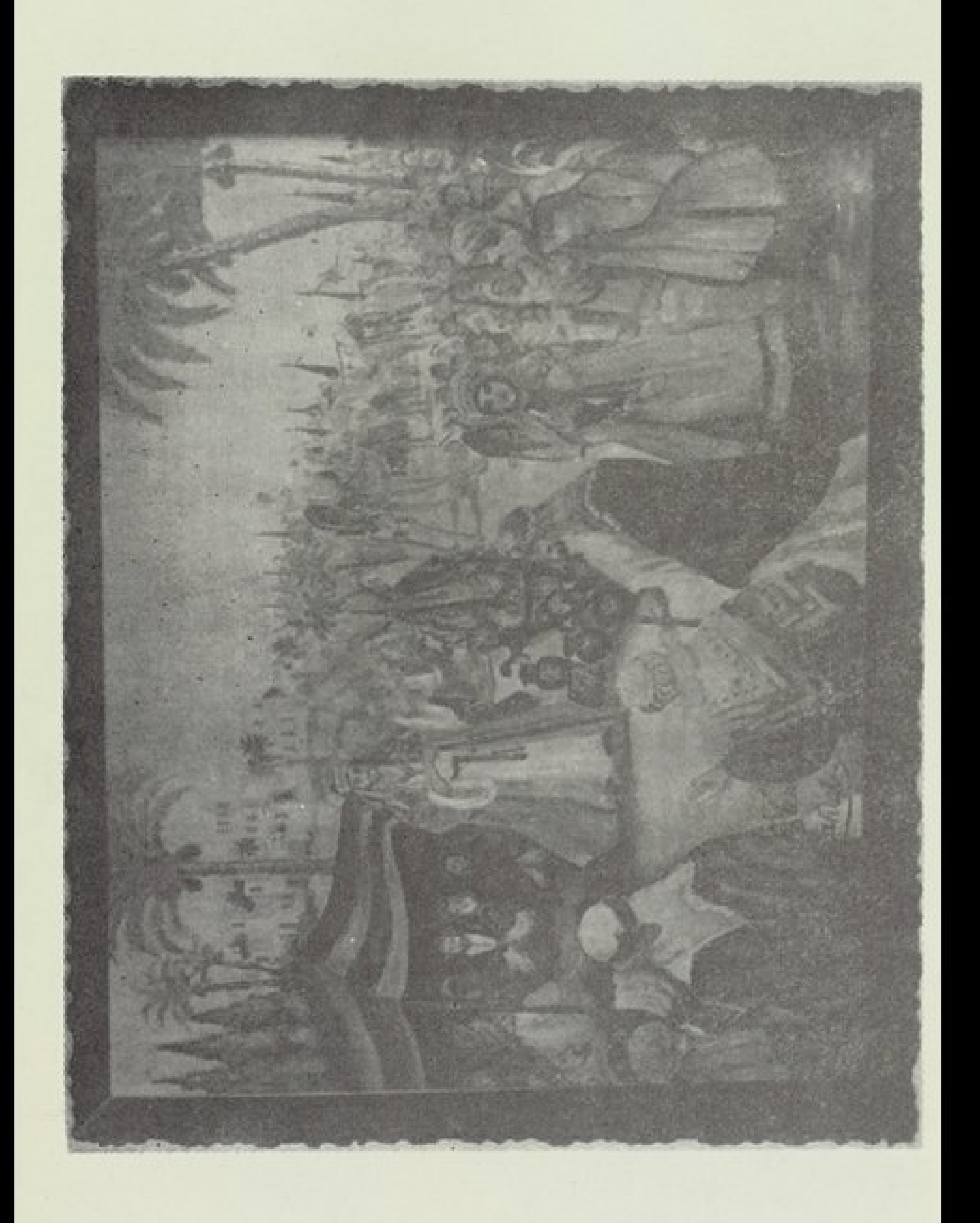
(١) اشترك كل من الفنان أبي السعود والفنان الاستاذ خالد معاذ بنقل النقوش والزخارف الموجودة في جامع درويش باشا في دمشق ٠

المعاصرين على الاتيــان بمثلهــا ، وكان يعتقد أن من الضرورة القومية النبش عن هذه الكنوز وتعريف العالم عليها ، وقد قام هو ، شخصيا ، بذلك ٠٠ فلقد ساهم في المعهد الذي أسسه الكونت دولوديه ، فراح ينقل الزخارف التي يكتشفها في المساجد ، خاصة المسجـد الاموي ، والمقابر ٠٠ مكبرة ملونة ، ويرسلها دولوريه الى فرنسا وسواها من البلاد ٠

ولكي ندرك أهمية هذا العمل الذي قام به عبد الوهاب أبو السعود علينا أن نقرر بأن كل التفاتة نحو التراث الفني الماضي من قبل فنانينا المعاصرين ٠٠ انما هي نتيجـة التفاتتـه الشخصية التـي كانت أسـبق الالتفاتات وأنضجها ٠

أما أعماله ذات الصفة التاريخية ٠٠ فتتجلى في لوحات ذات موضوعات مستمدة من التاريخ العــربي والاسلامي الذي كان يهتم به اهتماما كبيرا ، باع قسما منها ، وما زال قسم آخر محفوظا ، ومن هذه اللوحات ما يمثل فتح الاندلس وحريق السفن ، أو ما يمثـل عمر بن الخطاب على أبواب بيت المقدس ، أو خالد بن الوليد في اليرموك أو سوق عكاظ أو قصر الحمراء أو غيرها ٠

وعبد الوهاب في لوحاته هذه متـأثر كل التأثر بالفنان توفيق طارق ٠٠ من حيث عنايته الواضحـة بالتفاصيل ، من جهة ، وتضمينه اللوحة مجموعـات كبيرة من الاشخاص والمخلوقات والحذق في رسمها مع العناية بها عناية مدرسية ، وما كان هذا التأثر عـن

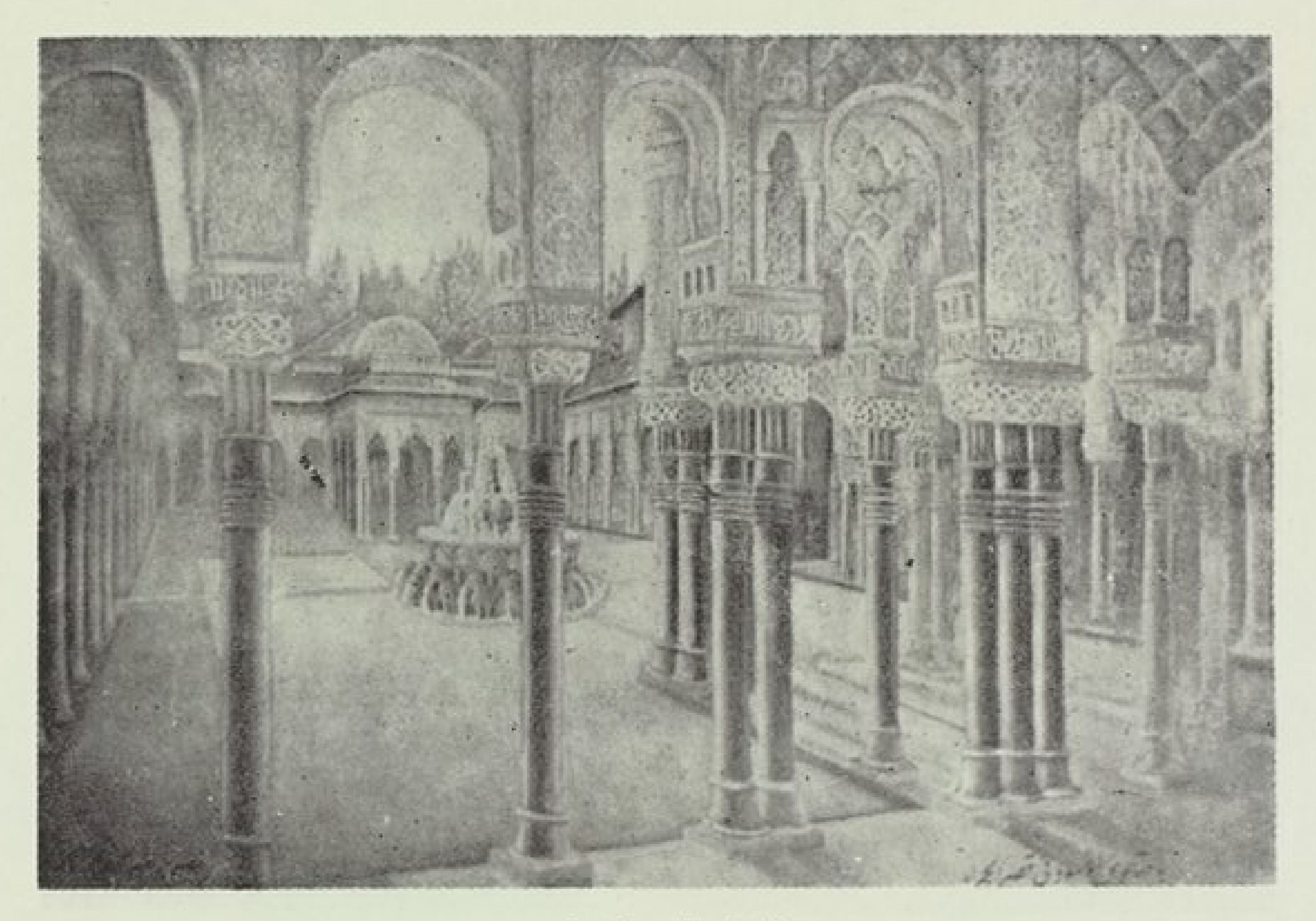




لوحة « فتح بيت المقدس »



لوحة « طارق بن زياد »



لوحة « قصر الحمراء »

ضعف ، ولكنه كان عن ايمان بتوفيق طارق ومعلميته ٠

ولعل هذه الاعمال ٠٠ تتكىء على المنطلق نفسه الذي تتكىء عليه أعماله في الزخرفة ، فالهدف هو اظهار ما في الحضارة العربية من كنوز ومن مفاخر ، والهدف هو الالتفات والتنبيه الى الماضي الغني بالبطولات ٠

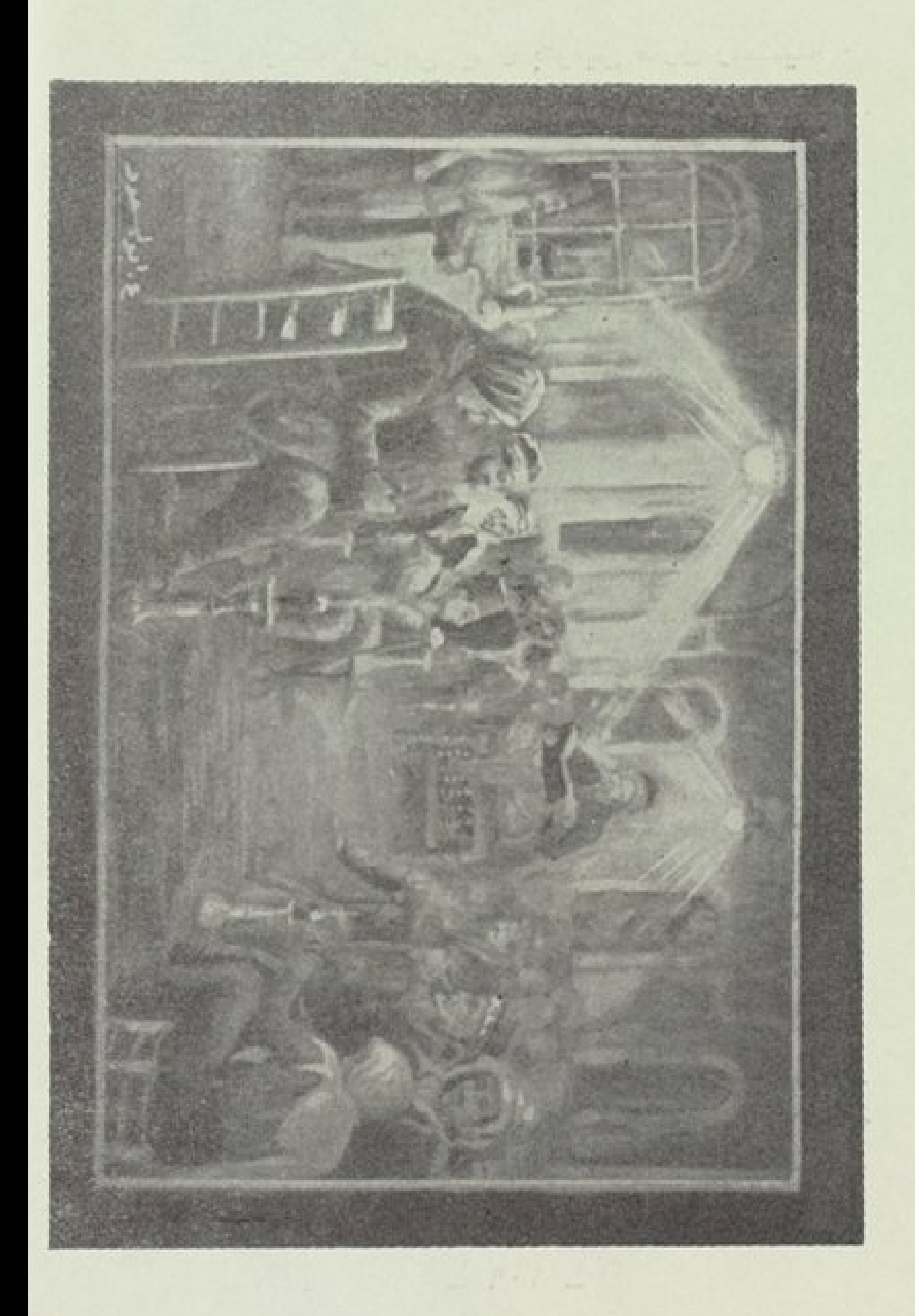
وتتصف أعماله الشعبية بأهميتها ٠٠ ذلك أنها من أبعـــد المحاولات في تخليد موضوعات شعبية في لوحات ، فالحكواتي في المقهى[1]، وبائع الحلاوة والمجلخ[2]، موضوعات شعبية في طريقها الى الانقراض ، وتثبيتها في لوحات مرسومة ٠٠ حفاظ ، بشكل من الاشكال ، على تراث شعبي يجب ألا ينقرض قبل دراسته ومعرفته ، ولو أننا تجاوزنا ما في هذه اللوحات ، وخاصة رسوم الاشخاص فيها ، من مخالفات للقواعد الاكاديمية في الرسم ، لوجدنا أنفسنا أمام فنان هادف يعرف ماذا يفعل ويرى طريقه بأم عينيه ٠٠ فما عن عبث اختار هذه الموضوعات ٠ لقد كان يحس بأنها لن تبقى طويلا ٠٠ ولذلك خلدها بألوان واقعيـــة ، أميل الى بعث التفاؤل ٠

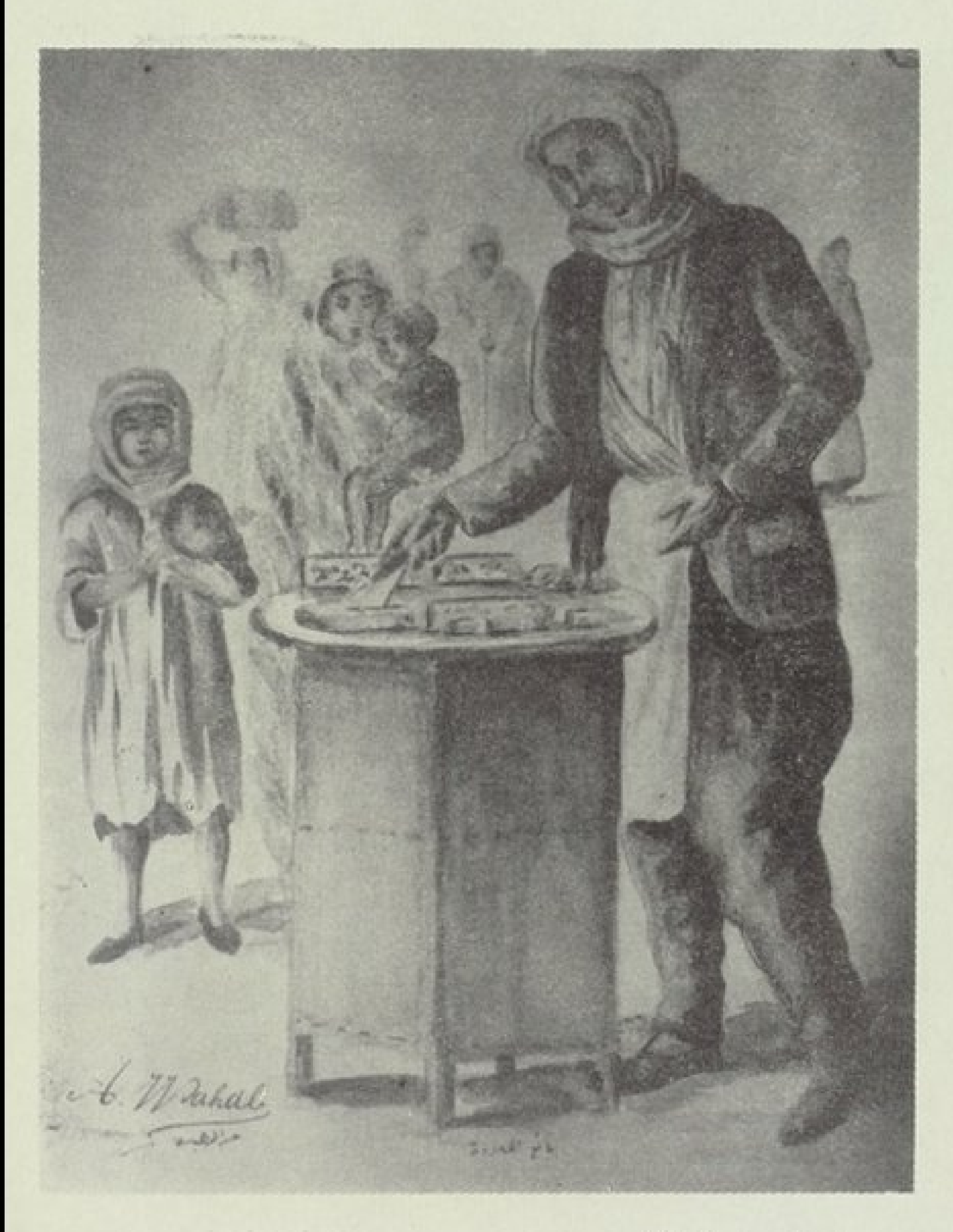
ولعبد الوهاب أبي السعود في هذا الضرب ٠٠ لوحات كثيرة ، حمل بعضها وبيع في أوروبا ٠

---

(١) هذه اللوحة من مشتريات المتحف ، ومحفوظة في قصر العظم ٠ والحكواتي رجل يقص على جلوس المقهى حكايات قديمة كحكاية الزير أو حكاية عنترة ، بلهجات أبطالها ٠٠ وقد انقرض هذا أو كاد ٠

(٢) المجلخ هو الذي يرهف الموسى ٠





لوحة « بائع الحلاوة »



لوحة « المجلخ »

أما أعماله الاخرى المختلفة فكثيرة ومتنوعة ٠٠ تبدأ برسم لوحات للطبيعة بالالوان المائية ، وتنتهي بعمل مجسمات للآثار ، والقاشاني ، وحتى الفسيفساء والحفر على الخشب[1] ، ومن المؤسف ألا يحتفظ بنماذج منها في بيته ، وأن تضيع فيما ضاع من آثاره الكثيرة ٠

« لقد كان عبد الوهاب أبو السعود في مضمار الفن وفي حياته مثال الانسان القوي في ذاتـه المؤمن برسالته ، فعمل في شتى الحقول الفنية في وقت كان الفن فيه معرة وعيبا ، ودخل معركة المنافسة في الانتاج الفني (الرسم الزيتي) مع توفيق طارق ومع ميشيل كرشه فكان لهذه المنافسة الشريفة أثر كبير في توسع نطاق الاهتمام بالشؤون الفنية عند الجمهور ، وعندما توفي عام ١٩٥١ كان من طلابه العدد الاكبر الذين حفظوا عنه شغفا ملحا في الرسم وعزيمة لا تقهر لتدعيم الايمان بقيمة العمل الفني[2] ٠ »

وقد حمل اوسمة تقـدير من فرنسا وفلسطين وسورية ، واشترت انكلترا وفرنسا وامريكا لوحاتـه المحتوية على بعض التقاليد العربية ، أو بعض الآثار والزخارف الاسلامية ، كما اشترك في معظم المعارض

---

(١) قام بصنع ميداليات لمعرض الصنائع الشرقية القديمة والحديثة الذي اقيم في دمشق عام ١٩٢٨ ، وميدالية لوزارة الزراعة في « دولة سورية » ، وميداليات أخرى لمواضيع كثيرة ، ويبدو أنه كان الفنان الوحيد الذي يجيد هذا اللون ٠

(٢) عن كتاب الفنون التشكيلية في سورية لعفيف البهنسي



بعض أعماله الأخرى — صنع ميداليات

التي اقيمت قبل وفاته » وقد تكون الذكرى عن أبي السعود بعيدة ، كما يصعب استدراجها الى النور في مخيلتي اليوم . لقد كان ذلك عام ١٩٤٧ في معــرض وزارة المعارف في التجهيز الاولى بدمشق . لقد كانت لوحاته محشورة في غرفة لوحدها ، ملأ بها الجدران كانت هنـــاك أكثر من مائتي لوحة بالفحم والزيتي والمائي ، وكان يشعر بوحشة . لقد كان بعيدا عـــن زمرة الرسامين العارضين ، وترك في اعماقي نوعا عجيبا من الاسى ، لقد كان ينتمي الى المدرسة المدرسية . لقد كان معلما في لوحاته . كان يعتز بما ينتج دون مبالغة ، كان يشعر بأنه باظهار انتاجه المدرسي انما يعلم الناس حب الفن عن أبسط الطرق ، وكم اسفت عندما توفي ولم استطع لقاءه بعد هذا المعرض[١] . »

---

(١) عن رسالة لفاتح المدرس يتحدث فيها عن أبي السعود .

خاتمه...

« عاش الفقيد حياته منصرفا
كل الانصراف الى خدمة وطنه عن
طريق الفنون الجميلة ، وانقطع الى
تنمية الذوق الفني في تلاميذه
ومجتمعه ٠٠ »

جريدة الفيحاء

اذا لم يكن لعبد الوهاب أبي السعود من فضل الا تنمية الذوق الفني في مجتمع لم يكن ، بسبب من ظروف كثيرة ، ليأبه بالفن أو يلتفت اليه ٠٠ فهو فضل كبير أحسب أن قلائل من الفنانين تزدان جباههم بمثله ٠ ولكن فضل أبي السعود أكثر من هذا ، فضله متأت من صعوبة الظروف التي أحاطت به وهو يمسك بيده الفرشاة ، أو وهو يقف على خشبة المسرح ٠ وفضله متأت من التغلب على هذه الظروف ، واستنبات البذرة المزروعة ، وفضله في تثبيته دعائم فن لا تعرفه البلاد حق المعرفة ، بل وتحاربه ، وفضله في العودة الى

الماضي عودة المستنير بكنوزه ، الواصل ما بينها وبين الحاضر ٠٠ وهو في كل ذلك كان يعمل عملا فرديا ، بلا اسلحة تقريبا الا سلاح عزيمته الجبارة التي كان يضرب فيها المثل ، ولو ان الامكانيات توفرت له ٠٠ لكان اسمه ألمع الاسماء في دنيا الفن ٠

انه « من هذا النوع من الناس الذين يخالط حب الفن طعامهم وشرابهم ومنامهم ٠٠ حتى ليبدو الواحد منهم شاذا في بعض الاحيان أو كأنه ممثل يؤدي دورا لا انقطاع فيه ٠ بلى ٠٠ لقد انقطع هذا الدور ٠٠ ولكن فقط ساعة غادر عبد الوهاب أبو السعود الدنيا[١] » ، وان كنت أحب ألا ينقطع دور أبي السعود ، فلقد كان رائدا صاحب رسالة ٠٠ فما الذي يمنع من أن يمضي تلامذته وأنصاره وجمهوره في رسالته في ميداني المسرح والرسم ؟

وما الذي يمنع من تخليد ذكرى هذا الفنان باقامة صالة عرض تحمل اسمه ، أو متحف صغير يضم ما يستطاع جمعه من لوحاته ، أو بانشاء مسرح صغير يسمى باسمه ؟

---

(١) عن مقال في الفنان للاستاذ شوقي بغدادي

المصادر

١ ـ كتاب « مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » لجورجي زيدان

٢ ـ عبد الوهاب أبو السعود حياته وأدبه ٠ رسالة جامعية بقلم اسعد جباصيني

٣ ـ كتاب المسرح للدكتور محمد مندور

٤ ـ كتاب « وامعتصماه ومسرحيات ثانية » لعبد الوهاب أبو السعود اصدار دار اليقظة العربية ٠

٥ ـ « تمثيلية ميلاد محمد » لعبد الوهاب أبو السعود اصدار دار اليقظة العربية ٠

٦ ـ كتاب « الفنون التشكيلية في سورية » لعفيف البهنسي

٧ ـ صحف « الفيحاء » و « اليوم » و « عصا الجنة » عام ٥١ و ٥٢

٨ ـ أرشيف الفنانين بمديرية الفنون التشكيلية في وزارة الثقافة والارشاد القومي ، وفي المتحف الوطني ٠

٩ ـ اضبارة الفنان في وزارة التربية والتعليم
١٠ ـ مخطوطات وآثار الفنان في دار ابنته السيدة
اميمة أبو السعود العاقل ٠
١١ ـ كريمة الفنان السيدة أميمة ، وصهره
الدكتور نبيه العاقل
١٢ ـ الفنانون ميشيل كرشه ، أدهم اسماعيل
فاتح المدرس رشاد قصيباتي خالد معاذ
١٣ ـ الدكتور جميل سلطان ٠ الاستاذ فؤاد
الشايب ٠ الاستاذ نسيب الاختيار
١٤ ـ الاساتذة وصفي المالح ، عدنان السوري ،
شوقي بغدادي ، سليم الدرة ، نور الدين
رمضان ٠

شكر

أشكر جميع السادة الذين مدوا يد المساعدة لي وأنا أقوم بتأليف هذا الكتاب عن حياة الفنان الراحل « عبد الوهاب أبي السعود » ، وأخص بالشكر السيدة أميمة أبا السعود العاقل كريمة الفنان التي مدتني بكثير من المخطوطات التي أضاءت لي الطريق الى حياة والدها ، كما أخص بالشكر السيد عدنان السوري تلميذ الفنان في ميدان المسرح الذي أعطاني جانبا من وقته ، وأرشدني الى ملاحظات عن حياة الفنان ، ويشمل شكري جميع السادة الذين أسهموا في مدي بهذه المعلومات ، بأي شكل من الاشكال ، فلقد كانت المساعدة وكان الاسهام ٠٠ من الحوافز التي شجعتني على الاستمرار في تأليف « حياة الفنان عبد الوهاب أبي السعود » ٠

فهرس

فهرس الصور

منشورات

الفن الحديث العالمي

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق : ص.ب ١٠١

هاتف ٢٣١٤٧ / ٢٠٦٣٢

العنوان : شارع بورسعيد رقم ١١٧

مطبعة الجمهورية

دمشق بوابة الصالحية ـ هاتف : ٢٣٥٥٦

ملتزم الطبع والنشر
الفن الحديث العالمي

ثمن النسخة (١١٥) قرشاً سورياً او ما يعادلها


COLUMBIA UNIVERSITY
0026813548